

شَجُونُ الْمَسْجُونِ

وَفُتُونُ الْمَفْتُونِ

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨ هـ

اغتفبه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيال

الحسيني الشاذلي الترقاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

المقدمة

الحمد لله الذي ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ فَسَلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ [السّجدة: ٨، ٩]، ثم وهب منهم البالغين العاقلين قدرةً واختياراً ليمتحنهم في كلّ حين، فهم بالخير والشرّ مُختَبِرون، ليجزيهم بما كانوا يعملون.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٣٥].

وتقديره: فيجازيكم بما تكسبون، فكلُّ من يقع عليه الجزاء فهو داخل تحت الفتنه، مُعاملٌ في سائر أوقاته بالمحنة؛ من كافر وشقيّ، ومؤمن وتقيّ، وصديق ونبيّ. وإلى هذه الثلاثة أقسام تنقسم الأنام.

قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ وَالسَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ [الواقعة: ٧ - ١١].

فهؤلاء كلّهم ممتحنون، ولما كان هذا العالم يفتنى، ومن كرم الكريم أن جعلهم يعملون فيه لما يبقى، صيّرهم لأفعالهم فاعلين، وأرسل إليهم رُسلًا مُبشّرين ومُنذرين، بعد أن مكّنهم ممّا خلقه كسباً لهم، وجعله لهم بإرادتهم واختيارهم إن شاؤوا مكتسبين. وشاء بمشيئته القديمة، أن تكون لهم مشيئة مُحدثة في كلّ حين، فوعدهم وتواعدهم على ما هم بمشيئتهم قد أصبحوا له عاملين. فهم في أفعالهم غير مجبورين، إلّا ما شاء الله فهم عنه غير مؤاخذين، فأمن بقضائه وقدره جميع المقلّدين من المؤمنين، واعترف بعدله وفضله سائر العلماء المجتهدين، فهم أئمة الدّين، وورثة النّبیین، والمهتدون الهادون بالكتاب المبين، فبيّنوا للناس ما به يعملون، إذا هم

- ما داموا في الدنيا - مُمْتَحَنُونَ. فأصحاب المشأمة بالخيرات الفانية مُخْتَبَرُونَ، وهم بها مُسْتَدْرَجُونَ من حيث لا يعلمون، وبالشُّرور الدَّانية يُفْتَنُونَ، لعلهم يَتُوبُونَ ويتذكرون، قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢١].

وأما أصحاب اليمين فإِنَّهُمْ مُفْتُونُونَ بالخيرات ليرغبوا في الأعمال الصالحات، ومُمْتَحَنُونَ بالشُّرور المختلفات لتكفير السيئات، وفي حق هؤلاء قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٥].

وأما المُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ مُفْتُونُونَ بالخيرات ليكونوا من الشَّاكرين، وبالشُّرور ليعودوا من الصَّابرين. وفي حق هؤلاء قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَكُمُ وَالصَّادِقِينَ﴾ [مُحَمَّد: ٣١].

فشُرور أصحاب الشَّمال نَقَمٌ وتنقيصٌ، وشُرور أصحاب اليمين تكفيرٌ وتمحيصٌ، وشُرور السَّابِقِينَ نِعَمٌ وتخليصٌ، وخيرات أصحاب الشَّمال حجابٌ ويَلْبَالُ، وخيرات أصحاب اليمين إعانة على الكمال، وخيرات السَّابِقِينَ مواهبٌ وأفضال.

فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فَاطِر: ٤٥] خاص بأصحاب الشَّمال دون أصحاب اليمين.

كقوله مُخَصَّصاً: ﴿وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٤] وذلك من باب العقاب لا التكفير.

وعليه يُحْمَلُ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَنْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٣٠].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٥]، فخاصٌّ بأصحاب اليمين، وهو من باب التَّكْفِير لا العذاب، وإن كان حكمه حكم العقاب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَكُمُ وَالصَّادِقِينَ﴾ [مُحَمَّد: ٣١]، فخاصٌّ بالسَّابِقِينَ، وهو من باب تعظيم الثَّواب والفضل، كما لضدَّهم من باب توفير العذاب بالعدل، فمصيبية أصحاب الشَّمال تخسير وتدمير، ومصيبية أصحاب اليمين تطهير وتكفير. ومصيبية السَّابِقِينَ توفير وتوفير. وقد بيَّن الله تعالى بفرقانه فرقاناً بين مصيبية التَّكْفِير ومصيبية التَّوْفِير، في آية يعقلها الخبير، قال تعالى: ﴿أَوْ لَعَنَّا أَصْلَابَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٦٥].

[آل عمران: ١٦٥]. فكلُّ من عند الله بقضاءٍ وقدرٍ وعدلٍ من الله. ومن يكفر بالله يُضِلَّ قلبه بفتنته، ومن يؤمن بالله يَهْدِ قلبه بمصيبته، والمُغَيَّرُونَ يُغَيِّرُ الله ما بهم من فتنتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمٍ سُوءًا﴾ [الرعد: ١١] عقاباً لهم على ما قَدَّموه من سوء الأعمال ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

فسائر أفعاله تعالى مع عباده؛ إما فضل، وإما جزاء بما كانوا يعملون، ذلك أن لم يكن ربُّك مهلكَ القرى بظلم، وأهلها مُضِلُّحُونَ، فسُبْحَانَ من خلق الفِتْنِ المختلفة من الشرور والخيرات، وامتنح بها عباده في سائر الأوقات، ومكنهم من اجتناب السيئات، واكتساب الحسنات، ليفوزوا إن اختاروا وعملوا بالباقيات الصَّالِحَاتِ، وهداهم بالعقول باطناً إلى أفضل السُّبُلِ، وأرسل إليهم ظاهراً ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. فليُنظر الآن هذا الإنسان المأخوذ بالافتتان في كلِّ آن، الممكن من الاكتساب في كلِّ مكان، وليُنْه نفسه عن الهوى ففيه الهوان، وليُدْعُ الله تعالى في سائر الأحيان، راغباً في الجنة والرضوان، راغباً من الغضب والثيران، والحمد لله المثنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه في كلِّ زمان، من كلِّ إنسان، بكلِّ لسان.

أما بعد، فإني لما رأيت العالم بأسرهم مفتونين، وبكسبهم مَثَابِينَ وَمُعَاقِبِينَ، ورأيت من تمام النعمة عليهم، أن فُتِنُوا بكلِّ ما لديهم، وفَوَّضَ أمرهم في الاكتساب إليهم، اعتراني دَهْشٌ في طرب، وعُجْبٌ في عَجَب، وكنت على حالة أظنُّ الفراق، ولا أجد لدائي من راق، فأوصيتُ من حضر ليكتب ما خطر، فليتأمل ذلك من يراه، ففيه له غنية إن شاء الله.

شعر:

[من الطويل]

وَمُمْتَجِنِي فِي كُلِّ آنٍ وَحَالَةٍ	يَرَانِي أَسِيءُ الصَّنْعِ أَوْ أَحْسِنُ الصَّنْعَا
فَهَذِي حَيَاتِي كُلُّهَا لِي مِخْنَةٌ	فَهَلْ لَدِّي يَوْمًا مُعَاشَرَةُ الْأَفْعَى
دَعَانِي بِأَمْرِ مِنْهُ دَاعٍ إِلَى الْهَوَى	وَدَاعٍ إِلَى التَّقْوَى دَعَا وَخِيَهُ شَرْعَا
وَأَوْجَدَ لِي مَيْلًا إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ	وَقُدْرَةً مَقْدُورٍ قَدِيرٍ إِذَا يُدْعَى
وَقَالَ: جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً	لِنَبْلُوهُمْ فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ مَا تَسْعَى
فهذا وجودُ الامْتِحَانِ فَكُنْ فَتَى	يَجَانِبُهُ ضُرًّا وَيَصْحَبُهُ نَفْعَا

فَمَا فِيهِ إِلَّا مُبْتَلَى وَبَلِيَّةٌ فَخُذْ بِالتَّقَى عَقْلاً وَعَاصِ الْهَوَى طَبْعاً
وَذَرْ رَاحَةً تَفْنَى وَخُذْ بِنَصِيحَتِي وَشَمِّرْ لَهَا عَزْماً وَأَلْقِ لَهَا سَمْعاً
وَإِنْ مَاطَلْتَ أَوْ إِنْ وَنَتْ نَفْسُكَ اسْتَعِثْ بِمَنْ عَنْ هَوَاهَا يَسْتَطِيعُ لَهَا مَنَعاً
وَسَلْ بَاطِناً مِنْهُ الْغِنَى عَنْ غِنَى الْوَرَى فَلَمْ يَغْنَنَّ مَنْ لَمْ يَغْنَنَّ عَنْ بَالِهِمْ قُنْعاً
وَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَّاكَ مُمْتَحِناً بِمَا لَدَيْكَ وَجَاءَ الْمَوْتُ يَقْطَعُهُ قُطْعاً

ثم بعد ذلك شفاني الله تعالى من ذلك المرض، فعدت إلى ما أعتقد أنه نهاية الغرض، وهو الاجتهاد في فهم معاني كتاب الله، من غير عدولٍ إلى تقليد أو ميل عنه إلى شيءٍ سواه، فلما كمل ما ظفرتُ به منه، وفهمته عنه، طلبني ملك الوقت ببأسٍ شديد على خيل البريد، من مسيرة خمسة عشر يوماً، وطلبَ مني علماً لا قبَلَ لي به، ثم سجنني عاماً بسببه، فجمعتُ لِنَفْسِي تَذْكَرَةً بِمَا وَصَلَ إِلَيَّ، وفتح عليَّ، وسميتها: «شجون المسجون وفنون المفتون»، ولم أقيّد الترتيب فيها على وفق الواجب بل جمعتها جمعَ الحاطب، ليكونَ كلُّ فصل قائماً بنفسه، يستفيد الناظر له بحسب نظره وحَدْسِهِ، وجعلتها ثلاث أبواب، لأنها زيدة ما فهمته من الكتاب. الباب الأول في العمل، الباب الثاني في العامل، الباب الثالث في المعمول له. وكلُّ باب فيه ممّا قبله، وبذلت جهدي في كشف ما عندي نصيحة لمن يراه، وحسبي الله.

الباب الأول

في العمل

اعلم أنّ الخواطر تعرض على القلب، وتنجلي بسرعة، فهي ممّا يخصّ القلب ممّا هو خارج عن قدرة الإنسان، فالخاطر هو ما لا يثبت إلّا أن يربطه الإنسان. والراتب هو من الرّواتب التي تلزم القلب لزوماً راتباً، لا تكاد تقلع عنه، والعقائب هي ما تعقب أفعالاً من الإنسان. فالخواطر إذا مدّت بالفكر تأدّت إلى الرّواتب، فإذا امتدّت بالعزم تأدّت إلى العقائب، فإنّ أعرض عن الخواطر مرّت كما تمرّ الريح، فلا يكون لها أثر، فالعقائب قد تحدث على سبيل الجزاء، لأنّها تحدث بعقب الرّواتب التي تربطها الفكر، ولقد كانت أولاً خواطر، وهذا يعطي وجوب ملازمة القلب، لأنّه من باب الهدى والضلال وصاحب الكسب ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ولمّا كان ابتداء كلّ شيء إنّما هو من جهة القلب، وهو من جهة هذا الخاطر المتقلّب الذي من أجله سُمّي القلب قلباً، وإنّ انضاف إلى ذلك غيره في سبب التسمية، فنقول: إنّ من الخواطر ما يعرض من جهة المزاج مميّلاً إلى ما يوافق، فهذا إذا تمكّن سُمّي شهوة، وضدّه نفرة، ومنه ما يعرض لنيل رتبة، فإذا تمكّن سُمّي همة. ومنه ما يعرض باعثاً على فعل، فإذا تمكّن سُمّي مشيئة. ومنه ما يعرض باستعجال اللقاء فإذا تمكّن سُمّي شوقاً. ومنه ما يعرض بتثبيت حكم، أو شيء على ما هو عليه. فإذا تمكّن سُمّي علماً. وإن كان متردداً سُمّي شكّاً، فإنّ عرض بذكر ما لا حقيقة له على سبيل الثبات سُمّي جهلاً. ولجميع الأخلاق والخصال خواطر، متى تمكّنت سمّيت بأسماء تخصّها.

واعلم أن منزلة الخاطر منزلة سماع صوت يقرع سمعك، ويمرّ، وتمرّ عنه، فكما لا يلزمك سماع ما يكون من كذب، أو محال إثماً، ولا يلحقك في ذلك لوماً، ولو كان ذلك بالعكس، فإنّه لا يفيدك بمجرد سماعك إياه أجراً، إذ لم تقصد لشيء من ذلك، فكذلك الخواطر، إذا لم تبعثها ببالك، ولم تعد راتبة، لا يعقبها شيء،

وإنما يجتهد الصّديقون فيما يقوِي فهم خواطر الخير، ويقطع عنهم خواطر الشرّ، لأنها أزمة القلوب، وفواتح الأعمال، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠١]، أي اقتدوا بالذكر، وهو القرآن، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فإذا أبصروا نهوا نفوسهم. والطيف أول النزعة مثلما يعرض منه بالطيف الذي هو خيال يرى في النوم، لا حقيقة له يُنسب إلى المحبوب سوى صورة ما، فافهم هذا جيّداً.

واعلم أنّ اللّمة من قولهم: ألمّ بمكان كذا: إذا نزل به على غير إقامة، ولا يُقال ذلك لمن مرّ عليه، فافهم قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَلَمَّ﴾ [النجم: ٣٢] فليس المراد بالاستثناء أنّهم لا يجتنبون اللّمة، بل معناه أنّهم يجتنبون الكبائر، لكن إن نزل أحدهم بصغيرة فإنّه لا يقيم عليها، بل يقلع عنها عاجلاً، فالخاطر الذي يجرّ إلى حديث النفس هو لّمة من الشيطان، إذ هو بمنزلة المنزل التي لا إقامة فيها، ولا يقال ذلك على خاطر الذي لا يجرّ إلى حديث النفس، لأنّ ذلك مرور لا نزول، فإن نزل فهو إلمام. فإن أقام فهو إغواء، لأنّه ممدود، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، فقد صار بمنزلة العقائب، عوقب به صاحبه لربط خاطر الأول، فليس لعقل أن يستهين بأول خاطر فينقاد له، فإنّ ذلك يستدرج إلى ذهاب معرفة الله من قلبه، ويبقى رقاً لشیاطين شهواته ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً﴾ [سبأ: ٤١]. وعلامة ذلك أن يثقل عليه عمل الآخرة وإن خفّ، ويخفّ عليه عمل الدنيا وإن ثقل. والدنيا عبارة عمّا يفنى فاعرفها، فمن أحسن بشيء من ذلك فعليه بالجميّة من جميع الخواطر كما يحمي المريض المذنب، وليعد إلى حفظ قلبه وحراسة فكره ليلاً ونهاراً حتى يرجع، يجد هذه الحراسة دأباً له، نوماً ويقظة، ويتحقّق الشفاء كما كان يتحقّق ضده، ثمّ يستمرّ حذراً، فمتى لم يدفع خاطر بجهد شديد وحراسة دائمة كان أشدّ عدواً، وهذا أفضل جهاد وأبلغه. ومن أراد ذلك فليتدر إلى ثلاث خصال:

الأولى: مبادرة كلّ خير يخطر بباله، فإنّه بمنزلة البذر.

والثانية: منع الشّهوات والإسراف في الأكل والشرب والنوم.

الثالثة: مجالسة العلم.

وأنت إذا اعتمدت على ما أوصيتك به من مراقبة خاطر، علمت من هناك جميع ما تحتاج إليه، واستغنيت عن هذا الكتاب وعن مثله من كلّ وصيّة وعلاج. ومن جرّب رأى وصدّق، ومن عزّ عليه هذا الأمر فعليه بالذكر.

واعلم أنَّ حديث النَّفس هو ذِكْرٌ من فعل الإنسان يطابق خاطر، وأنَّ في القلب ضرورياً من الأذكار ليست بمنزلة حديث النَّفس، بل يحتاج الإنسان أن يتكَلَّف لها من الحضور ما يشهد به حاله، فيصدق عند نفسه، لأنَّه يرى الكائنات تذكر معه بذكره، إذ يرى حاله فيها، فلا يحسبُ الناظر في هذا الكتاب أنَّ مجرى الأذكار كلَّها مجرى حديث النَّفس، فيشتبه عليه وجه الصُّواب فيكون ذاكرةً ناسياً.

واعلم أنَّ كلَّ عمل لا بُدَّ أن يتقدِّمه علم، وأنَّ باب كلِّ علم إنما هو من القلب، وهو من هذا خاطر، وإذ قد فهمت من الجملة المتقدِّمة أنَّ خاطر لا يعتدُّ به، بل هو يمرُّ أبداً، يحكي شيئاً وضده وغيره، حتَّى كأنَّه يحكي مرور العوالم من الخيرات والشرور، فمتى ربط الفكر خاطراً ما كان هذا من كسب القلب، ثم صار هذا خاطر الأول المربوط بالاختيار من الرُّواتب، ومن هاهنا إن لم يقطع صار مؤدياً إلى العقائب فيعاقب به القلب أو يُثاب بحسب ذلك الاكتساب. فمن أول خاطر يبتدئ يجب أن تلحظ كسبك، فإن كان ممَّا يفنى فهو عليك، وإن كان ممَّا يبقى فهو لك. ومن عرف الكتاب العزيز عرف به الخواطر، فكان بهذا السير على صراط مستقيم لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فأول سلوك الصُّراط المستقيم هو اعتبار أول خاطر يخطر في القلب، فمتى لم تجده راجحاً في العقل بحكم الكتاب رجعت عنه، فهذا الرُّجوع سلوك في الصُّراط لأنَّه تذكر عند مسُّ طيف من الشيطان، وهذا ينبوع الأعمال، وأول الكسب، وبدء النور والظلمة، ومنشأ كل خير وشر، وأول الإرادة والاختيار والمشية الذين من أجلهم كنت مكتسباً، وبهم ظهرت، ولولا هم ما أمزت ولا نهيت، ومن هاهنا ظهرت فضيلة الرُّسل والكتب، ولزم الامتحان، فكُن أبداً واقفاً على صراط مستقيم، ملازماً حراسة قلبك أن تربط به خاطراً أولاً مذموماً فتجعله راتباً، فهذا أول كسبك، ومن هنا تبدأ العقائب ويستمر الأمر حتَّى يقع الطُّبع على القلب بالكسب، وسُمِّي طبعاً لأنَّه يصير بمنزلة الطُّباع للإنسان. لأنَّ الانتقال عن الطُّباع عسير جدًّا إن أمكن، فيكون هذا قد طُبِع على قلبه بكسبه. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، فافهم هذا جيداً، وقِفْ معه ولا تهمله، أو تغفله، أو تُسامح أو تنسى، أو تغلط، أو تتأول ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، واسأل الله تعالى ذلك بالتَّالِّ والحال في كلِّ آنٍ وحال.

محاسن باب الخير والشر، وأسُّ النفع والضَّر، وأصل الأول والآخر، وجملة الباطن والظاهر، منوط بالفكر من كلِّ إنسان، نوماً ويقظةً في كلِّ آن، فنزَّهه عن

الاشتغال في القول والفعال، والقطع والوصال، وفي سائر الأحوال، ولو في لمحة خيال. فالذني الداني هو الأول الفاني. والسني هو الآخر الثاني، ولقد وضع المعاني تعلقها بالمباني، كما رفع المباني تضمّنها للمعاني، وهنا يقال: نظم: [الخفيف]

نَزَّهَ الْفِكْرَ عَنْ مَحَلِّ الْفَنَاءِ إِنَّمَا الْفِكْرُ سُلَّمٌ لِلْبَقَاءِ
حَيْثُ فَكَّرْتَ أَنْتَ ذَلِكَ فَافْقَهُ مَا الَّذِي فِيهِ فِكْرَةُ الْفُضْلَاءِ

موعظة وعلاج:

كيف تستمدُّ لطائف المعارف ووجه قلبك متوجّه إلى كثائف المآلف؟ وكيف ترحل إلى أوج المواهب والعوارف، وأنت مُثابر على حضيض العوائد والمتالف؟ وكيف تجول في ميدان السرائر، وفكرك محصور في سجن الظواهر؟
وقال: نظم: [السريع]

اجْنَحْ إِلَى قَلْبِكَ وَاغْمِضْ عَلَى أَتَى لَا تُفَكِّرْ فِي الْفَنَائِي
وَعُصْ إِلَى الْبَاطِنِ عَنْ ظَاهِرٍ لَتَعْرِفَ الْأَوَّلَ بِالثَّانِي

إيضاح ووصية:

الفكر سلّم القلب، فإن رقي به إلى الظاهر انقطع، لأن حدّه الأجسام، والفاني وإن رقي به إلى الباطن فلا حدّ له، بل يستمرّ في إدراك المعاني، ويوصله إلى كلّ أوّل قطعه للثاني، فإذا بلغت هذا المقام ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

[السريع]

وقال في المعنى: نظم:

وَوَجَّهَ الْفِكْرَ إِلَى دَاخِلٍ وَاجْعَلْ نَصِيبَ الْقَلْبِ قَطْعَ النَّصِيبِ
مَا بَعْدَ الْمَعْشُوقِ مِنْ عَاشِقٍ وَكُلُّ قَلْبٍ فِيهِ مَأْوَى الْحَبِيبِ
فَاقْطَعْ عَنِ الْقَلْبِ جَمِيعَ الَّذِي يَقْطَعُهُ عَنْكَ وَأَنْتَ الْقَرِيبُ

علاج:

الشّهوة تُطفئ نار الفكرة الرديئة، كما تُطفئ نور الفكرة الصالحة، فاجتنبها داءً، واستعملها دواءً.

نبأ: الملائكة يشهدون بالذهن ما يشاهده البشر بالفكر.

مضارع:

أول خاطر كأول نظرة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١].

حماية:

كيف تغيب إذا جعلت ما يغيبك مُحَضَّرًا، وما ينسبك مذكراً.

معين:

هو الصبر في كل آن، قَدْرُكَ صَبْرُكَ، صَبْرُكَ سِرُّكَ، إنما أتيت لتصبر.

نظم:

إذا ما حياة المرء زينها الصبر فقد لذ لي عسر كما لذ لي يسر
وعاد الرضا في السخط والقرب والتوى وفي المر حلو والذي يشتكى شكر

إخبار:

مقدار كل امرئ حديث قلبه.

تيقظ:

قد يخطر بالبال في بعض الأحوال أنك كأحد الرجال بمجرد المقال، مع الغفلة عن المحاقاة في الأفعال، فتظن من أجل معرفتك بما يجب أن تكون عليه من الحال أنك كامل في الأحوال، وهذه حالة الشعراء الذين هم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ [الشعراء: ٢٢٥، ٢٢٦].

حجة:

يا هذا! أنت إذا نمت ذهبت عنك هذه الدعاوى كلها، ولا تقدر أن ترى ما تريد، وسلك بك في مسلك من الكذب والأمثلة، أو في حالة عدمية مهمة، فكيف إذا مت.

وصية:

ما لك من عمرك إلا ما صفًا، وليس مع أخلاط الجماعات صفوة، ولا مع كثرة المال فراغ.

لا تسمح بأوقاتك للبطالة، ولا للبطالين، ولو كبرت مرتبتهم. إن لم تخل من كل ما شغلهم لم تشرق فيك أنوار الصفاء.

ليس في هذه الدار موضع خلوة، فاتخذهُ في نفسك. ليست الشواغل بضارة لك إذا خلوت منها وأنت فيها، قد تحصل الخلوة في الجمع، لكن لمن قواه لا تفتقر ولا تفتقر، فلا تقف مع مألوف، ولا تثقن بمعروف، ولا تتكلن على أحد أو شيء، وانظر إلى كل كانه عدو لك ولا بد من صداقته، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ادفع بالتي هي أحسن، وكن واحداً كاتماً غنياً بذاتك لا من الخارج، واحذر أن يقيّدك حال أو قال أو مال أو آل، فإنما تصل بالتجريد عن كل ما تريد.

واعلم أن كل مراد لك سوى رضوان الله تعالى هو بمنزلة إله، والسابق قد قطع العلائق، وإنما التقرب بالصُّور من شعار المشركين، إنما نعبدُهم ليُقربونا إلى الله زُلْفَى، ومن تبرأ من هواه شهد أن لا إله إلا الله، وهذا الفخار مصيره إلى الانكسار.

كشف مفضح ولفظ مفصح:

في سوس النفوس عشق كامن، هو سرٌّ باطن، فمتى علّفته بمعلوم سلب وجذب، حتى غلب وحجب، فاحذر التقيد بالصُّور ممّا بطن وظهر، ولو علا في حسنه وبهر ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُضِّلَتْ: ٣٧].

حديث:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَنَعِيمِهِ، وَخِدْمِهِ، وَسُرْرِهِ، مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ بَكْرَةً وَعَشِيَّةً»^(١).

تحقيق:

اعلم أن المتأمل لهذا الحديث من المؤمنين به لا يرضى أبداً أن يكون أدنى، وهو يقدر أن يكون أكرم، وتحقيق ذلك أن ما هو هناك مبنّي على ما هو هنا، فمن كان من المؤمنين هاهنا نَظَرُهُ إلى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ، وغير ذلك، فهو هناك كذلك، ومن كان قلبه مع الله تعالى، وهو دائم النَّظَرِ إليه، معتمداً رضاه فيما فرض عليه، فهو أيضاً هنالك على مثل ذلك، فاحتر لنفسك ما شئت، فسترد إلى ما رضىت، أو تهوي إلى ما هويت.

(١) رواه الترمذي في جامعه الصحيح، حديث رقم (٢٥٥٣) [ج ٤ ص ٦٨٨] ورواه أبو يعلى في مسنده، مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم (٣٣٣٠) [ج ٥ ص ٤٣١] وحديث رقم (٢٥٥٣) [ج ٤ ص ٦٨٨]. ورواه غيرهما.

نظم:

[دوبيت]

يا مُمْتَحَنًا بِكُلِّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْأَمْرُ مِنَ الْأَمْرِ قَدْ رُدَّ إِلَيْهِ
مهما كسبت يده في عالمه هذا فهناك يرجع الكسب عليه.

فصل:

اعلم أن إنساناً نام عن وزده، فرأى في منامه كأن ولده سقط من علو، فانزعج واستيقظ مبادراً إلى الحمد والصلاة شكراً لكون ما أصابه إنما كان في المنام، فضرِبَ له مثال اليقظة بما رآه في الأحلام، وتحقق أن مصائب الدنيا في الأهل والولد والمال، وفي سائر الأحوال، إنما هي جواذب ودواع أنعم الله بها على الغافلين ليُجيبوا الداعي، وليس الأمر بالحقيقة في يقظته، إلا كما رآه في نومه، وكذلك حال مَنْ نُبِّهَ من غفلته، في نومه أو يقظته، بنعمته أو نقمته، كل ذلك الشيء داعية إلى الله، وجواذب إليه عما سواه، وهذا مما يجب أن يُشاهد في كل أن، فهو أنفع ما وَلَجَ في سمع إنسان، ولقد تكررت به أمثال كثيرة في القرآن.

نظم:

[الكامل]

يا مَنْ شَغِلَتْ بِهِ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَحَلَّتْ بِهِ لِي فِي الْهَوَى بَلَوَائِي
كُلُّ إِلَيْكَ يَقْوَدُنِي بِجَوَائِبِ عَنِّي مِنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
طَابَ انْتِهَاكِي فِي هَوَاكَ وَلَذَّتِي جَمْعِي عَلَيْكَ بِفُرْقَةِ الْأَهْوَاءِ

مثال:

اعلم أنه كما تقدّم علم الرائي في منامه ما سيقع قبل وقوعه، ولم يَجُزْ أن يُقال: إن العلم أوجب وقوع الواقع، أو الواقع تبع العلم، فكذلك فهم بهذا المثال أن الموجب لوقوع الواقع من الإنسان ليس هو العلم القديم، بل العلم القديم تابع للمعلوم، وإن تقدّم، كما أن علم الرؤيا تابع للمعلوم، وقد تقدّم. فاتخذ ذلك ميزاناً، واجعله لك بُرْهَانًا.

نصيحة شافية:

إذا اشتبه عليك أمر فلم تعلم هل هو مما يجب أن يُزَعَبَ فيه، أو عنه، فاحظر ببالك خطور باغت الموت، إذ لا محيص عنه، ولا مهلة، فإن كان ذلك الأمر مما يبقى معك في ذلك الآن، فابق معه، أو مما يفارقك ففارقه.

[السريع]

نظم في مثل ذلك :

يَا مَنْ تَقْضَى عُمْرُهُ فِي ضَلَالٍ وَيَدْعِي مَا تَدْعِيهِ الرِّجَالُ
يَسِيرُ سَيْرَ الْقَوْمِ فِي رَغْمِهِ وَحَالُهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مُحَالُ
عِنْدِي وَاللَّهِ الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ الدَّوِيُّ الْعُضَالُ
افرض بأنَّ المَوْتَ عَايِنْتُهُ وَقَدْ تَقْضَى كُلُّ قِيلٍ وَقَالَ
وَعَادَتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتُهَا حَقِيقَةً بِالمَوْتِ شَبَهَ الْخَيَالُ
فَكُنْ عَلَى ذَلِكَ وَاْعْمَلْ لَهُ فِي كُلِّ آتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالُ

تقوية :

إن عجزت عن ذلك لضعف أو إلف أو غير ذلك، فعليك بالإخلاص في الدعاء إلى الله تعالى، الذي لا شك تعرفه إذا وقعت في خطبٍ جسيم، وهولٍ عظيم، وتقطعت بك فيه الأسباب، وغُلقت دونك الأبواب، أو ما تراك كيف تدعو بحضورٍ لا غيبة به، وتَوَجَّه لا التفات معه، ووجهة لا شركة فيها، فإنك لا تدعو معدوماً، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١].

زيادة :

أدْعُ الله الذي لم يتناه في الأوهام بتقدير، ولم يمثل في الأفكار بتصوير، ولم تستخرجه نتائج العقول بالأفكار، فتجعله شبحاً محدوداً لا شخصاً مشهوداً، ولا وقتته الأوقات، فأجرت عليه الأزمنة، ولا أحاطته الجهات فتضمته الأمكنة، بل هو الفاطر أبدأ، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

مثل وتفهم :

الفكر كالعبد إذا لم تكده مَرَدَّتْهُ البَطَالَةُ، وإنما تنقسم الأفكار بتقسيم المآرب. والموحد بالفكر من جعل الهموم همّاً واحداً، ففكر فيه.

فأول ذلك: أن يفكر في عيوب نفسه ومساقط هواه، وما يحتاج إلى تكملتها به، فإنَّ الغرض سلوك سبيل الأنبياء؛ وسبيلهم سياسة البلدان والسُكَّان، ومن لم يُسِّنْ نفسه كيف يسوس العباد، ومن لم يُسِّنْ بَدَنَهُ كيف يسوس البلاد.

الثاني: إذا خلا بنفسه بعد معرفتها وإصلاحها فلا يفكر في شيء من أمور الطبيعة وليُمِثْ نفسه عن كُلِّ رذيلة ليحيا بالفضيلة، وليعلم أنه إذا خلا بنفسه، وتخلَّى

بسوسه، تختال الطبيعة في جذبه إليها، وكلما لاح لطيف روحاني باقي جذبت بمثله إلى كثيف جثماني فان، فليجذف ولا يظرف.

وليعلم المغلوب بكثرة الوسوس والأفكار، أنه لا يفيد الهرب منها، لأنه إنما يقطعها حيناً، وتقطعه أحياناً، وإنما يفيد الهرب من الحظوظ، فإذا قطعها انقطعت عنه الأفكار، ولا ينال ذلك إلا بحزم، وعزم صادق على الموت.

مثال:

الصدق له وجهان؛ أحد وجهيه ما كسبه بالمجاورة، والآخر كبقية الأحجار، وكذلك القلب.

تعليم:

صور الأمور الدينية كصور المسمومات، فلا تحصل من صور المسمومات مهما قدرت، وأنت لا تفرق بين رائحة كل واحد ورائحة الآخر، فإن المقصود بالصُّور الأراج.

فصل:

إن وراء نطاق النطق ما هو أدق من أوتار العنكبوت.

نظم:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَذَرَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ بِصَفْوٍ عَدِيرٍ وَهُوَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ

مثال:

اعلم أن كشف الأولياء - رضي الله عنهم - يُمثل بالسراج في آحاد البيوت ليلاً، وكشف الأنبياء - عليهم السلام - بمنزلة نور الشمس العام على الموجودات نهاراً. والناس بمنزلة الطيور المستعلي بعضها على بعض بحسب القوة المعطاة لكل واحد منهم من حيث جنسه وخلقته، فشتان بين الناظر بالثور السفلي جزئياً، وبين الناظر بالثور العلوي كلياً، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]. ومُرَادنا بالجعل هاهنا يرجع إلى الثور الخارج، لا إلى نور البصر، لأن نور النار هاهنا من جعل البشر، ونور الشمس من جعل خالق الشمس والقمر.

تلخيص:

الأبوة قسمان: أب روحاني، وأب جسماني، فلو كانت السعادة تحصل بالأب الجسماني لسعد بها اليهودي والنصراني، فالأب الروحاني على التمام هو النبي عليه الصلاة والسلام، ونحن في بطن الكون كالجنين، والتكاليف الشرعية تكمل الصورة الروحانية. ولهذا جعلت الصلوات الخمس على عدد الحواس الخمس، فلنحرص على أن تكون الصورة كاملة ليفرح بنا أبونا عند الولادة.

تخصيص:

الإنسان لوح تنتقش فيه الملكوتية وما تحتها وما فوقها، فالملك جزؤه، وله بالجسم ملك آخر هو المتصرف فيه بالاختيار، وبالعقل ملك آخر لا تحيط به الأفكار، يتصرف به في الجسمانيات، فهذا سخرت له، وتفضل به على الروحانيات، ولهذا أسجدت له، فهو بالذكر ملك، وبإحاطته لما دونه فلك. ولما فات الجسمانيات، وفاق الروحانيات، تخصص بأسماء الصفات، وبهذا شهد النبي الكريم، إذ ما في الملائكة من اسمه رؤوف رحيم، فسبحان من أبدع هذا البشر، وأقدره على التقمص بسائر الصور، ودل عليه بالعيان والخبر، فبطن وظهر، وكشف وستر، وضعف وقدر، ونهى وأمر، وأطلق وأسر، وغاب وحضر، وجحد وأقر، فقفا الأثر، فعلا وبهر، ودنا واستمر، فانقطع الخبر.

رسول:

كما أن الله تعالى أوحى إلى رسوله الكليات، وأحال عليه في بيان الجزئيات، كعدد ركعات الصلوات، كذلك ترتيب أصحاب الولايات، فيما يأتون به من الكرامات العلميات والعمليات، وذلك حوالة عليهم من أصحاب النبوات، تفصيلاً للوقائع الوجوديات، ونسبة الهبات إلى النبوات، كنسبة الجزئيات إلى الكليات، فلا يغلطن غالط تفرّد بإحدى الدرجات فاستغنى بزعمه عن الشرعيات، فليحذر السالك وليحترس، فالجزء في الكل، ولا ينعكس.

من ملخص مظفر بن سنان في الرد على الفلاسفة:

الفلاسفة قسموا الأمور إلى واجب وممكن وممتنع. فقالوا: الباري واجب الوجود بذاته، والعالم ممكن الوجود بذاته، ووجوده بواجب الوجود، والوجود له كالظل عن الصورة، والنهار عن الشمس، وهو علة لوجود الممكن، والعلة غير

متقدمة على المعلول الذي هو الممكن الواجب الوجود، بواجب الوجود إلا كتقدم الصورة على الظل ملازمة له، وأن الممكن إمكانه هو بذاته، ليس لواجب الوجوب قدرة على إمكانه، إذ هو ممكن لنفسه، فليس إمكانه مقدوراً له، وإنما وجوبه بوجوب واجب الوجود. وأنكروا أن الله تعالى فاعلاً على الاختيار، لأنه لو كان كذلك، وفعل بعد أن لم يكن فعل، اقتضى مرجحاً ومدة.

التقضى:

نقول لهم: الوجوب في اصطلاحكم حالة غير حالة الإمكان، وهو أمر طارئ على الممكن، والواجب واجب بنفسه، والممكن ممكن لنفسه، وهما قائمان متمثلان، فانتقال الممكن إلى الوجوب يوجب مرجحاً لواجب الوجود، وهذا نقض لما توهمتم، ومعارضة لما أسست، وانقلبت المطالبة لكم بحالها في الممكن كالمطالبة في المختار، وأنه يوجب المدة كما ادعيت من أن الاختيار يوجب المدة، والترجيح يقتضي المرجح. فبانتقال الممكن إلى الوجوب ألزمتكم كما ألزمتكم بزعمكم، وإذا كان الواجب واجباً بنفسه، والممكن ممكناً بنفسه، ولا قدرة له على إمكانه، لأن له المعية لا التبعية بعد المعية، وهذا تناقض لأن واجب الوجود عندهم علة لا فاعل بالاختيار، فكيف وجب وجود الممكن، وهو بمعنى المعية حتى صار بمعنى التبعية، والبارى علة لا فاعل على الاختيار، وهذا يؤذن بقدم العالم، وأنه مع واجب الوجود. وقولهم بوجوبه بعد إمكانه تلبس منكم على من قصر فهمه عن دحض تمويهكم، فمن المحال أن ينتقل الممكن إلى الوجوب، والفاعل لا اختيار له في انتقاله، والواجب الوجود بذاته أعلى ممن هو ممكن منتقل إلى وجوب، فذلك تغير من ذاته بذاته، موجب الوجود لذاته وهذا خلف.

وبعد، فإن كان الممكن قديماً، فالقديم لا يؤثر في القديم، وإن كان محدثاً فذاته محدثة بإحداث القديم الفاعل بالاختيار، وبطل الوجوب، والعجب من الحدث الضعيف أن يروم بذهنه أن يُشرف على قدرة المحدث القديم الحكيم. ليدركها بإحاطتها القاصرة، وعقله المحدث الضعيف المحجوب بحجاب الحدث، والعالم يشهد على ذاته بكونه مفعولاً لفاعل مختار، إذ حوادثه ظاهرة، وليست حوادثه سابقة لحوادثه، وما لم يكن سابقاً للحوادث فهو حادث.

وأيضاً نقول: إن الممكن بذاته في الأذهان لا يخرج به إلى الأعيان إلا فاعل مختار، فهو في الأذهان واجب الإمكان، ولا واجب في الوجود العيني ولا الذهني،

وواجب الإمكان لا شك أنه معدوم ذهنًا وعينًا، وموجه يتقدّم عليه ويختاره، ونفْي ذلك يلزم ثبوت المعية والوهم، والحامل على تصوير كيفية إحداث المحدث محال ممّن رامه، إذ ليس له وسيلة إلى الاطلاع على كميّته، لأنّه فوق طور العقل، وإذا لزم العجز عن كميّة الإحداث، فكيف لا يلزم عن كميّة المحدث سبحانه في ذاته وصفاته إلّا من طريق الأدلة الموصلة إلى الإقرار بوجوده، بدليل صنعه الظاهر الإحكام، المتقن التقدير بغير إحاطة، ولذلك عجزوا عن إدراك محدث بغير مادة ولا مثال، تعالى الله، لا إله إلّا هو ربّ العالمين.

[الطويل]

نظم:

شَفِيعِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْعَفْوُ حَاجَتِي وَلَيْسَ إِلَى رَدِّ الشَّفِيعِ سَبِيلُ

تعليق:

في بحث وقع مع من يدّعي أنّ الوجود مظاهر الحقّ سبحانه، ويظنّ أنّه فهم المراد، وذلك إنّما قيل للإنسان: هو المحتجب بالقوّة الناطقة، لكونها أدلّ عليه من غيرها من بقيّة أفعاله، والأدلّ على الشّيء يبقى حكمه حكم الجائز له، فكان المجوز فيه من جهة الدلالة حالّ فيه كحلّول الأجسام في الأجسام، أعني اللّطيفة في الكثيفة، كالهواء في الإناء الفارغ، فأعلى العبارة هاهنا أن يُقال: هو محجوب بالقوّة الناطقة، لدلالة النطق على موجود حيّ ناطق بالإرادة من غير شكّ. ولهذا أقسم الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وهذه عبارة إنّما جازت على الإنسان من جهة التّوقيف الذي اضطررنا إليه ضرورة التعريف، ونفس المراد إنّما هو غير ذلك، فالنطق حجابٌ للنفس من جهة أنّه دالّ عليها لا من جهة حلّولها فيه، إذ النطق صفة لها، وهو قائم بها، والشّيء لا يحلّ في صفته، أو يقوم بها، فلا يجوز لعقل أن يفهم من قول القائل: الإنسان هو المحجوب بالقوّة الناطقة حلولا بحيث يجعلها جسمًا لروح، أو إناء لريح، بل يفهم المدلول من جهة أنّ النطق فعل ظاهر لفاعل بالإرادة، وكذلك احتجاب فاطر السّموات والأرض تعالى ممّا برأ، بل مُرادنا بهذه العبارة دلالة على الصّانع لا حلّول، إذ المحسوسات أظهر للحسّ، وأوقع في النّفس، وأقرب إلى التعريف، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ولم يقل للسّموات، أو لمن في السّموات، وإن جاز أن يقال: إنّ تعالى في كلّ شيءٍ من ذرّة أو خُطرة، لكن جواز دلالة على مبدع، وافتقار إلى صانع، إذ كلّ ذرّة باطنة أو ظاهرة، شاهدة ذاتها على ذاتها، بأنّ لها صانعاً،

ولا شك أن الكتابة تدل على الكاتب، ولكن ليس الكاتب في الكتابة بوجه، ولا الكتابة في الكاتب، إلا بالقوة التي هي غيب هذا، مع بعد المثل من الممثل لأنه فوق طور العقول.

وإذا كانت جزئيات الكليات دالة بأنواع الدلالات على صانع في سائر الحالات، وعلى افتقار مطلق إلى غنى مطلق ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: ٥٠]، فلا غرو من هذا الباب أن يقال: هو المحتجب بخلقه، كما قلنا: إن الإنسان يحتجب بنطقه، وإنما جاز هذا التمثيل من جهة الدليل، لئلا يفضي الأمر من جهة التنزيه إلى التعطيل، فسبحان من ضرب بخلقه الأمثال، وتعالى عن المثال، وجل الذي جل عن الحلول محتجباً بفعله، وهو الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا تنزه عن الاحتجاب بصفاته مخلوق ضعيف بهذا المثل الأجل، فكيف لا يتنزه عن مثل ذلك خالق لطيف، ولله المثل الأعلى، فسبحان الباطن الخفي عن كل ما يلاحظه من الصفات والأسماء، وهو الظاهر الجلي بسائر جزئيات ما في الأرض والسماء، الذي لا تتسلط عليه أفكار العقلاء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إيجاز:

[الكامل]

الكل أبدع هاهنا من أجلىنا
حُجِبَ تُشِيرُ إِلَى اللَّطَائِفِ فَاخْتَفَتْ
صُوراً ففِي أَشْبَاحِنَا أَشْبَاحُهَا
علاج:

يا ضِعِيفاً أَعْمَالُهُ حَجَبَتْهُ
طَهَّرَ الْفِكْرَ عَنْ سِوَاهُ وَقُلْ
حال:

ما أَقْلَقَنِي الشُّوقُ إِلَى إِثَائِي
مُعْنَايَ مَوْلَهُ عَلَى مَعْنَائِي
عاشق:

أَوْدِعْ فِئَادِي حُرْقاً أَوْ دَعِ
نَفْسَكَ تَوْدِي، أَنْتَ فِي أَضْلَعِي

أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابٌ مَعِيَ
مَسْكَنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ

[الخفيف]

قَدْ خَرَقْتُ الْأَفْلَاكَ بِالتَّحْدِيقِ
وَالْهَوَى وَالْحِظْوَظَ خَلَعِي زِيْقِي
وَتَرَكْتُ الْوُجُودَ عَنْ تَحْقِيقِي
لَمْ وَمَا يَقْتَضُونَ جَمْعِي رِيقِي
فِي مَقَامٍ لِلْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ
مِنْ جَمِيعِ الْوُجُودِ عَنْ تَدْقِيقِ
حَاكِمًا بِالْمَجَازِ وَالتَّحْقِيقِ

[البسط]

أَوَّلُ فَمَا فِي غَدٍ تَلْقَاهُ فِي النَّوْمِ
لَكِنْ نَقْلُنَاكَ مِنْ نَوْمٍ إِلَى نَوْمٍ

[الطويل]

تُشَاهِدُهُ جَهْرًا فَتَشْهَدُهُ سِرًّا
تُرَدُّ إِلَى مَا كُنْتَ حَيًّا بِهِ مُغْرَى
أَلَا فَاغُحْ مِنْكَ الْكُلَّ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْرَأَ
فَظَاهِرُكَ الدُّنْيَا وَبَاطِنُكَ الْآخَرَى

وَاحْبِسْ سَهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَازِمَهَا
مَحَلُّهَا الْقَلْبُ وَأَنْتَ الَّذِي

دعوى:

مَنْ تَخَلَّى ثُمَّ اسْتَعَدَّ رَأْيِي
وَخَلَعْتُ الْأَفْلَاكَ وَالْمَلِكُ جَمِيعًا
وَتَوَحَّذْتُ بِإِفْتِقَارِي غَنِيًّا
وَجَمَعْتُ الْمَقَالَ وَالْحَالَ وَالْفِعْ
وَجَعَلْتُ الْجَمِيعَ تَحْتَ حِذَائِي
عَبْدَ حَقٍّ وَالرَّبُّ حَقٌّ تَعَالَى
أَنَا لَا أَزَالُ حَيًّا عَلِيمًا

عجيب:

تَرَى عَلَى يَفْظَةٍ مَا فِي الْمَنَامِ تَرَى
هَذَا وَذَاكَ مَنَامٌ أَنْتَ نَاطِرُهُ

بيان:

إِذَا نِمْتَ تَلْقَى فِيكَ مَا كُنْتَ يَقْظَةً
كَذَاكَ إِذَا مَا مِتُّ مُغْرَى بِحَالَةٍ
فَأَنْتَ كِتَابٌ فِيكَ كُلُّ مُسْطَرٍ
وَمَا ثُمَّ إِلَّا أَنْتَ فَافْقَهُ مَقَالَتِي

أصل يجب علمه:

بيان القول في الله تعالى أراد من العالم ما هم فاعلوه، وهم مع ذلك غير
مجبورين فيما يختارونه، نقول:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَدَعَ الْعَالَمَ، وَأَعْنِي بِهِ مَا سَوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لِحِكْمَةٍ مِنْ
أَجْلِهَا كَانَ مَا لَمْ يَكُنْ، وَالْعَالَمُ مَحَلُّ الْأَضْدَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَحَلَوٍ وَمَرٍّ، وَمِثْلُ
ذَلِكَ، وَالْكُلُّ مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ مَا لَا يَرِيدُ، وَأَنْ لَا
يَكُونَ مَا يَرِيدُ كَوْنَهُ، فَإِنْ قِيلَ: قَدْ يَرِيدُ الْعَبْدُ أُمُورًا فَتَكُونُ بِإِرَادَةِ الْعَبْدِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ

الرَّبُّ وقوعها، ولم يرد أيضاً أن لا وقوعها. قلنا: إرادته تعالى أن يكون العبد مريداً في بعض الأمور، وقد علم الله ما يريده العبد، فلم يمنع وقوع ذلك الأمر، وهو بعينه مراد الله، ولكن بإرادة زَيْد، فزَيْدٌ غير مجبور عليه، وليس الأمر مفوضاً إليه. واعلم أن أعمال العباد عشرة؛ اثنان بدنيّة، وهي: الحركة والسكون، وثمانية قلبيّة، وهي: العلم، والظن، والشك، والجهل، والفكر، والكلام، والتّية، والاعتقاد.

وإيضاح ذلك أن الكسب عبارة عن اختيار القلب، لا عن مطلق الفعل، فإن الكافرين أحدهما قلبه مطمئن بالإيمان، لا يؤخذ لكونه غير مكتسب فعله بقلبه اختياراً بل اضطراراً. والحالفين أحدهما يؤخذ لكونه مكتسباً قوله بقلبه اختياراً ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. فالكسب عبارة عن الاختيار لأنه مبدأ الفعل.

فإن قيل: إنه تعالى جبر المختار على أنه يختار هذا بعينه، فقد عاد الاختيار جبراً، وهو محال شرعاً ولغةً وعقلاً. بل نقول: إرادته أن يكون المختار مختاراً، وعلم ماذا يختار فلم يمنع وقوعه، فصار الواقع بعينه مراداً للرَّب، لكونه علم ولم يمنع، وكسباً للعبد لكونه لم يعلم مراد الرَّب فاختار، فقد بان أنه متى أراد العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد، كان العبد هاهنا مكتسباً، ومتى فعل العبد ما أراد الله وقوعه بفعل من العبد فوق غير إرادة من العبد لم يكن مكتسباً، بل العبد حينئذٍ إما مجزي بذلك الفعل الواقع منه لما تقدّم أيضاً منه، وإما مجبورٌ عليه لحكمة أرادها الله منه، والمجبور غير مؤاخذ إلا أن يكون ذلك الجبر أيضاً جبراً، كقوله تعالى: ﴿وَنَقْلُبُ أَقْسِدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].. الآية، ويتحقق ذلك كله من فهم قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨].. الآية.

نظم في ذلك ليحفظ بسهولة:

[السريع]

من قَبْلُ شاءَ الله ما شاءَ	في الكَوْنِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرٍّ
لِحِكْمَةٍ مِنْ أَجْلِهَا أَبْدَعَ الـ	أَضْدَادَ مِنْ خُلُوٍّ وَمِنْ مُرٍّ
فَغَيْرُ مَا قَدْ شاءَ لَمْ يَكُنْ	وَلَوْ كَمِثْقَالٍ مِنَ الذَّرِّ
فَفِعْلُهُ الأَمْرَ إِذَا اخْتَارَهُ	لَكَوْنِهِ بالأَمْرِ لَا يَذْري
كَسَبَ لَهُ لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهِ	كصُورَةِ الجَبْرِ بِلا جَبْرِ
فَالْكَسَبُ مَا يَخْتَارُهُ قَلْبُهُ	مِمَّا أَرَادَ الله أَنْ يَجْري

في القول وفي الفعل في نفسه
وكل ما يصدّر من فعله
لا إثم فيه وهو جبر له
وربما كان جزاء لما
فهذه السُّنة قد أسفرت

أو غيره في السر والجهر
بلا اختيار كان في الصدر
كعابد الأضنام بالقهر
قدّمه في سالف العمر
من ظلمة البذعة كالقجر

بيان:

مشابه في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]. ثم تلاه بقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، الثاني مبين للأول، وذلك أنه يجب أولاً أن تفهم الفرق بين قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ [النساء: ٧٩] فإنه مُتَعَدٌّ، وبين قوله لو قال: ما أصبت فإنه لازم. ثم اعلم أن الناس بين مؤمن وكافر، والواقع منهم أو عليهم خير أو شر، فالحسنة إذا صدرت عن المؤمن لا يجزيه الله عليها في الدنيا بل في الآخرة. والسَّيِّئة، دون الكبائر، إذا صدرت من المؤمن لا يجزيه الله عليها في الآخرة، بل في الدنيا لقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، والكافر بضد ما ذكرناه. دليل الأول: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠]. ودليل الثاني: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [النحل: ٢٥].

ويجب أن تعلم أن جميع ما يُعَذَّبُ به الكافر في الدنيا لا ينقص عنه من عذاب الآخرة شيء. وجميع ما ينعم به المؤمن في الدنيا لا ينقص عنه من نعيم الآخرة شيء.

ولا شك أن من علم هذا وحققه وصدّقه، تحقق أنه ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩]، لأن ذلك كله هبة في الدنيا لا جزاء ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِّن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، لأن ذلك جزاء، ولا فرق أن يكون ما أصابك بيد الله، أو بيد العباد، من خير أو شر، فهذا قسم ما أصابك، بقي قسم ما أصبت، وقد بيّناه من قبل نثراً ونظماً والله الموفق.

زيادة فيما اشبهه من الألفاظ:

اعلم أن الأمر ينقسم إلى قسمين: أمر ندب يمكن مخالفته كقوله تعالى لإبليس: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] وقوله لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

[٣٥] وأمر حتم، كقوله: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨]، فلم يكن له أن يقول: لم أكن لأخرج، كما قال: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ﴾ [الحجر: ٣٣]. فمن ظنَّ أنَّ كُلَّ أمر حتم غلط، وكذلك إرادة نَذْبٍ وتحسين، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وإرادة حتم وجبر، كقوله: ﴿وَإِن يَرِدْكَ بَحِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، فمتى لم تفهم من الإرادة الجبر في موضع الاشتباه فقد سلمت.

ومن قال: إِنَّ الكُلَّ بقضاء الله وقدره فهو صحيح، لأنَّ الله ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، فلا يظلم مثقال ذرة، وله أن يعفو ويجازي، فقضى بالفضل، والعدل، والحجة الكبرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الزَّعْد: ١١].

وقال: شعر:

[الكامل]

لَكَ مِنْ فُؤَادِي رُتْبَةً لَا تُذْرِكُ وَسِوَاكَ مِنِّي ذَرَّةٌ لَا يَمْلِكُ
وَلَقَدْ كَفَفْتُ خَوَاطِرِي عَنْ أَنَّهَا تُؤْمِي إِلَيْكَ مَخَافَةً لَا تُشْرِكُ
وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَةً مَنِّي إِلَيْكَ فَلَسْتُ نَحْوَكَ أَسْلُكُ
وَوَقَفْتُ عِنْدَ الْأَمْرِ مُغْتَرِفًا بَلَا قَصْدِ اخْتِيَارٍ لِي لِئَلَّا أَهْلِكَ
حَسْبِي بَأَنْ عَرَضْتَنِي لِرِضَاكَ لِي وَهَدَيْتَنِي كَرَمًا فَبَانَ الْمَسْلُكُ

غيرة، مناجاة:

شعر:

[البسيط]

إِنْ كَانَ يُؤْنَسُ قَدْ نَادَاكَ مُغْتَرِفًا بِذَنْبِهِ عِنْدَمَا أَدْخَلْتَهُ الظُّلُمَا
فَالْجَهْلُ كَاللَّيْلِ، وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ هُوَ الدُّ نِيَا، وَجِسْمِي هُوَ الْحَوْتُ الَّذِي التَّقْمَا
فَكُلَّ حِينٍ أَنَا الْعَاصِي الْمُغَاضِبُ فِي بَحْرِ الْحُظُوظِ غَرِيقٌ أَشْتَكِي الْأَلْمَا
فَهَا أَنَا يُونُسُ وَالْعَفْوُ يُؤْنِسُنِي أَدْعُوكَ مُبْتَهَلًا فَاْمُنْزُ وَجُدْ كَرَمَا

حل إشكال:

لَمَّا كَانَ سُبْحَانَهُ دَائِمَ الْبَقَاءِ، لَا يَعْرُضُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْفَنَاءِ، صَارَ مِنْ أَجْلِ هَذَا فِي جِبِلَّةِ الْإِنْسَانِ مَحَبَّةُ الْبَقَاءِ وَشَهْوَتُهُ، وَكَرَاهَةُ الْفَنَاءِ، وَبَغْضُهُ، لِأَنَّ فِي جِبِلَّةِ الْمَعْلُولِ تَوْجِدَ بَعْضِ صِفَاتِ الْعَلَّةِ، دَلَالَةً عَلَيْهِ، وَإِرْشَادًا إِلَيْهِ.

تفضيل التفضيل وتحصيل التنصیل:

[الطویل]

وأشهدني غيري، وإيائي أشهد
 مُناج، مُناجِي، واجد، مُتَعَدِّد
 وأقرب بي منه وفي القُرب أبعد
 يراه بها إيائي، والغير يفقد
 ترقى بلا حد هناك وتُخلد
 فزاد وزيد، قال: لا يتزيد
 وإني بما وُحِدْتُ ذاتي مُوَحَّد
 بذلك أشقى أو بذلك أسعد
 ووُحِدْتُه بالذات لا تتعدَّد
 قريب إذا ما كُنْتُ مَنْ لا يُقَيَّد
 فما هاهنا إلا المراد المُجرَّد
 مُريدَيْن مَوْصُوفَيْن والفعل مُفْرَد
 وإن قلت: فعلي، فهو صِدْقٌ مُؤَيَّد
 فأفعَالُهُم أفعَالُهُ وَهُوَ يَشْهَدُ
 سوى الله والرَّامي هناك مُحَمَّدُ
 حَقِيقَةٌ إِيضاحِي بأحمدَ يَحْمَدُ
 بِنَفْسِي إِرَادَاتِ الْعِبَادَاتِ مُقَيَّدُ
 وَمَهُمَا أَرَادُوهُ عَنِ الْأَمْرِ وَحَدُوا
 ولا تُفِيها بل يأمرُ الْعَبْدُ سَيِّدُ
 هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى الْأَتَمُّ الْمُسَدَّدُ
 فما أنا بل غيري له القول واليدُ
 تعالى بما قد قاله أتعبدُ
 طريقٌ قَرِيبٌ لِلْجَمِيعِ مُمَهَّدُ
 أَقَامَكَ حَيًّا حِينَ تَغْنَى وَتُوَحَّدُ
 أَلَا إِنَّمَا سَيْفُ الْخِيَالِ مُهَيَّئُ

يُخَاطِبُنِي لِي فِي مَوَاقِفِ قُرْبِهِ
 فَقَالَ وَلَا غَيْرِي يَقُولُ وَإِنِّي
 وَمَا أَنَا غَيْرِي، غَيْرَ أَنِّي غَيْرُهُ
 تَعَالَى وَأَذْنَانِي إِلَيَّ بِوَحْدَةٍ
 وَمَا عَدِمْتُ ذَاتِي بَلَى وَجَدْتُ بِهِ
 هُنَا وَقَفَ السَّيَّارُ مِنْ غَيْرِ وَقْفَةٍ
 بَغَيْرِ اتِّحَادٍ قُلْتُ: إِنِّي مُوَحَّدُ
 لَأَنِّي بِهِ غَيْرِي إِذَا لَمْ أَكُنْ بِهِ
 فَفِي وَحْدَتِي بِالذَّاتِ ضِدَّانِ جُمْعَا
 وَتَحْقِيقُ فَصْلِ الْحَكَمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 نَفَيْتُ مُرَادِي أَنْ أَرَدْتُ مُرَادَهُ
 فَعُدْنَا يَقِينًا فَاعِلِينَ كَوَاحِدٍ
 فَإِنْ قُلْتُ: فِعْلُ اللَّهِ فَالْقَوْلُ صَادِقُ
 إِرَادَتُهُ تَجْرِي بِأَيْدِي عِبَادِهِ
 رَمَى بِيَدِ الرَّامِي فَلَمْ يَزَمْ إِذْ رَمَى
 وَلَا شِرْكَ بَيْنَ الرَّامِيَيْنِ وَمَنْ دَرَى
 أَلَا إِنَّ قُطْبَ الشَّانِ أَنْ مُرَادَهُ
 فَمَهُمَا أَرَادُوا لَاعَنِ الْأَمْرِ أَشْرَكُوا
 وَلَيْسَ لِعَبْدٍ أَنْ يُرِيدَ إِرَادَةَ
 فَمَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ اسْتِقَامَ وَهَاهُنَا
 لِهَذَا إِذَا مَا الْأَمْرُ فِيهِ أَقَامَنِي
 وَحِينَ أَقِيمُ الْأَمْرَ أَنِّي عَبْدُهُ
 قَدَّابِي أَقِيمُ الْأَمْرَ حَتَّى يُقِيمَنِي
 فَقُمْ تَخِي بِالْأَمْرِ الَّذِي إِنْ أَقَمْتَهُ
 فَلَا تَكُ مَقْتُولًا بِسَيْفِ خِيَالِهِ

قولنا: واحد سبحانه يلزم عنه أن لا يكون معه غيره، لثلا يلزم عنه التركيب، أو ما يغير الوحدة أزلاً. والواحد: الأول له إطلاق الوجود والقدرة، والعالم بأسره مبدع لا من شيء، ولا يُقال: من عدم، لثلا يُظنُّ أنه شيء. بل العدم سابق لكل شيء من العالم، وهو الواحد بالقدرة المطلقة، وكل شيء مقدور للقدرة الأحدية، والشَّيء في القدرة ليس ذاتاً، لثلا يكون من الواحد غيره قديماً، وتعود القدرة مقصورة على إبراز ما بها من الدَّوات للأعيان لا غير، وهذا حصْرٌ مُنافٍ للقدرة المطلقة، والوحدة المحقَّقة. بل قولنا: العالم كان في القدرة، والقدرة محيطة بالمقدور، وهو عبارة عن الإعلام بأن لا عجز هناك، بل قدرة مطلقة على إبداع الدَّوات، والتعيّنات، وسائر الممكنات، وإبداع ما شاء القادر من شيء متى شاء، كيف شاء لا من شيء ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحل: ٨]. والعلم محيط بما في القدرة لم يزل في الأزل، وإذا انتفى أن يكون المقدور في القدرة ذاتاً، فقد انتفى أن يكون في العلم، فكما ليس القدرة غيرها، كذلك ليس في العلم إلا العلم بالشَّيء المقدور عليه، لا ذات المقدور، ولا معنى للعلم القديم إلا الإحاطة بالمعلوم المعدوم، علماً قبل وجوده موجوداً ذاتاً وعيناً، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤].

وبهذا الاعتبار لزم أن يكون الله تعالى أقرب من الشَّيء إلى نفس الشَّيء، لأنه تعالى متقدّم عليه، فهو أقرب منه إليه علماً، كما أنه أسبق منه له وجوداً، وأقدر عليه منه إيجاداً، فلمّا كان الشَّيء معدوماً، كان الشَّيء جاهلاً بإيَّاه علماً، وكان الله تعالى عالماً به إحاطة، فكما أن الله أقرب من الشَّيء إلى الشَّيء علماً، فكذلك هو أقرب إليه منه مطلقاً، أعني بكلّ وجه أزلاً وأبداً، إذ البعدية والقُبلية من جهة الباري واحدة في العلم والقدرة، ومن البين أن بالنور ظهر الوجود، ولكلّ شيء نورية باطنة، قابلها نور ظاهر، أظهر التور، عين الشَّيء، ودلّ الشَّيء على نوريته بعدت أم قربت.

ولمّا لزم عن نفس الأعيان نفس القدرة، كانت الأعيان مظاهر القدرة، ومحلّ تجلياتها، وألسن دواعيها ومخاطباتها، والقدْرُ سبحانه هو المتعالي عن كلّ شيء بذاته، والمُنزّه عن الحلول بمصنوعاته، وعمّا يعقل من أسمائه وصفاته، لكنه تعرّف بكلّ جزء من مخلوقاته. ولمّا كان المعرّف أزلياً لا ينحصر ولا يتناهى، عاد التعرّف سرمدياً لا ينقطع ولا يتناهى، فكلُّ معلوم تصوّراً أو نطقاً، وكلّ مشهود معاينة أو ذوقاً

بسائر تجلياته، وجميع مخاطباته، داخل في باب تعرفاته، وإليها الإشارة بأنواع العبارة، وهو الباطن بذاته، والظاهر بآياته وسائر مبتدعاته، فلما كان أدنى من قولنا: جلّ وعلا من قولنا: جلّ، قال له القائل واصفياً لمقامه في باب التعرّف، كاشفاً بمقاله من باب التّلطف:

[المقارب]

تَجَلَّى بِكُلِّ قَلْبٍ نَاطِرُ
فَحَلَّ وَجَلَّ فَأَيْنَ الْحُلُولُ
يَخَاطَبُ بِالْكُلِّ حِينَ الْخِطَابِ
فَكُلُّ لَهُ أَلْسُنٌ فِي الْخِطَابِ
وَطَوْرًا يَنَاطِرُنِي بِالْخِطَابِ
فَعَادَتْ بِرُؤْيَيْهِ رُؤْيَايَ
وَعُذْتُ خَلِيفَتَهُ لِي عَلَيَّ
لِهَذَا نَظَرْتُ بِنَفْسِي الْحِجَابِ
تَعَرَّفَ بِالْكُلِّ فِي الْحَالَتَيْنِ
أَرَى فَأَرَاهُ يَرَانِي بِمَا
فَلَسْتُ أَرَى نَاطِرًا غَيْرَهُ

يَرَى أَنَّهُ نَاطِرِي وَالنُّظَرُ
وَأَيْنَ السُّوَى عِنْدَ أَهْلِ النُّظَرِ
وَيَنْظُرُ بِالْكُلِّ حِينَ النُّظَرِ
وَكُلُّ لَهُ أَغْيُنٌ فِي النُّظَرِ
وَطَوْرًا يُخَاطِبُنِي بِالنُّظَرِ
خِطَابًا وَعَادَ خِطَابِي نَظَرُ
إِذْ عَادَ سَمْعِي بِهِ وَالنُّظَرُ
وَقَدْ كَانَ يَحْجُبُنِي بِالنُّظَرِ
فَرَدًّا فَوَحَّدَنِي بِالنُّظَرِ
أَرَاهُ بِهِ وَبِنَفْسِ النُّظَرِ
وَلَمْ أَرْ غَيْرِي لِغَيْرِي نَظَرُ

[البسيط]

دقيقة فرقان في حقيقة إنسان:

عَبْدٌ وَمَوْلَى أَرَادَا كَوْنٌ كَائِنَةٌ
وَلَكِنِ الْعَبْدُ لَا يَدْرِي إِرَادَةَ مَوْ
فَإِنْ هُمَا اخْتَلَفَا تَجْرِي إِرَادَةُ مَوْ
وَإِنْ هُمَا اتَّفَقَا كَانَ الْمَرَادُ لِكُلِّ
وَيَنْسَبُ الْفِعْلُ مِنْ أَجْلِ الْإِرَادَةِ لِلـ
فَالْفِعْلُ مِنْ ذَا وَمِنْ ذَا وَاحِدٌ وَإِذَا
وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَرِيدَ وَيَالِ
يَجْرِي الْمَرَادُ لِعَبْدٍ قَدْ أَرَادَ إِذَا

كُلُّ أَرَادَ لِمَقْصُودٍ وَأَوْطَارِ
لَاهُ بَدْوٍ وَقَوَعِ الْوَقَائِعِ الطَّارِي
لَاهُ بِكَوْنِ الْمَرَادِ الْكَائِنِ الْجَارِي
لِ مِنْهُمَا وَاحِدَةٌ مِهْنٌ غَيْرُ إِخْبَارِ
مَوْلَى وَلِلْعَبْدِ تَحْقِيقًا بِإِقْرَارِ
نَسَبَتُهُ كَانَ مِنْهُ فِعْلٌ مَخْتَارِ
إِرَادَةُ الْعَبْدِ ذُو فِعْلٍ وَأَثَارِ
مَا وَافَقَ الْقَدَرُ الْجَارِي بِمَقْدَارِ

وقد يريدُ ولا يجري المرادُ وقد
إرادة العبد كسبُ فهي ما كسبت
فبالإرادة عادَ العبدُ مُنقلباً
إرادة عندية في حكمة فردية:

شعر:

بدا بالذي أبدى فكلُّ يريكهُ
فليس يرى بالعين شيء سوى السوى
عباراتنا عنه ومنه إشارة
هو الظاهرُ المشهورُ في كلِّ مشهد
فيبدو ويخفى بالسوادِ عن السوى
مطمئنة:

وقال: نظم أيضاً:

أشارت به فعلاً فبادر مُسرِعاً
وكان ما أبدت إليه سوى القنا
تجلت فكم موسى يختر وما رأى
وكم مدع قد ذاق خمر رُضابها
نعم فاز من أضحى بها لا غيرها
وقامت به في الكل وهو الذي بها

وقال غيره: نظم:

أنت حيّ ذو فكرة فادر من أن
فهي ظلُّ يرى، وذو الظلِّ يخفى
قائل فاعل لما شاء بالفكر
فلئن كُنت لا ترى الذنب إلا
أيد الثوب قطعها أم يد السّا
ومثال المرء يظهر في المر

يجري وإن لم يُرذ بل محض أقدار
قلوبكم وعليه يؤخذ الباري
يجري إلى جنة إما إلى نار

[الطويل]

ويحجبهُ كلُّ فيبدو وما يبدو
وبالقلب لا شيء سواه لنا يبدو
لها من بها يبدو له منه ما يبدو
ويبدو بما يخفى ويخفى بما يبدو
وحاشاه أن يخفى وحاشاه أن يبدو

[الطويل]

وأوحى له قولاً فقال وأسمعا
فقطّع ما في وسعي فتقطعاً
فتاب وكم طور لديها تصدعا
ولو ذاق مر الصد صد وما ادعى
يرى واحداً في حالتيه لها معا
يشاهدها قلباً وعيناً ومسمعا

[الخفيف]

ت وهذي الأجسام كالأشكال
وهو ربُّ الخطاب خلف الظلال
رة قبل الأقوال والأفعال
حين يبدو بالجسم فافقه مقال
رق يخشى في مذهب العقال
آة عند الإبصار أم ذو المثال

بَلْ عَلَى مَنْ رَمَى بِهِ فِي الْوَبَالِ
فَلَا دَنْبَ عِنْدَنَا لِلْخِيَالِ
رَفَثُ نَحْوُهُ بَلَا إِهْمَالِ
وَاخْتَرَسَ وَافْتَرَسَ بَلَا إِهْمَالِ
فَارْتَبَطَهُ فِي كُلِّ آنٍ وَحَالِ
وَتَنَلْ مَا تُرِيدُهُ فِي الْمَالِ

مَا عَلَى الْجِسْمِ عَارٍ مَا مِنْهُ يَبْدُو
وَإِذَا مَا عَصَى الْخِيَالُ كَمَا نَعْصِي
وَجَمِيعُ الْأُمُورِ يَقْدَمُهَا الْفِكْرُ
وَابْتَدِءَ وَاجْتَهَدَ وَجَاهِدَ وَعَاهِدَ
هُوَ يَنْبُوغُ كُلُّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ
تَنْجُ مِمَّا تَخَافُ سِرًّا وَجَهْرًا
وقال:

كشف:

نظم أيضاً:

فَجَسُومُ الْأَنَامِ غَيْرُ الْأَنَامِ
كُلُّ شَكْلِ وَضْدُهُ بِالتَّمَامِ
كُلُّ قِسْمٍ مِنْ سَائِرِ الْأَقْسَامِ
نَا كَالطَّيْرِ كَالْأَنْعَامِ
بِحِجَابِ الْأَوْهَامِ فَافَقَهُ كَلَامِي
تَ، فَأَنْتَ الْمَخْلُوقُ لِلْإِكْرَامِ
تَ، وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْأَوْهَامِ
وَاحِدًا قَائِمًا بِأَعْلَى مَقَامِ
هُوَ فِي كُلِّ يَقْظَةٍ وَمَنَامِ
لَ وَمَا الْكُلُّ مِنْكَ فَافَقَهُ كَلَامِي

لَا تَكُنْ وَاقِفًا مَعَ الْأَجْسَامِ
إِنَّمَا الْجِسْمُ مَرْكَزٌ لَاحَ فِيهِ
فَتَرَى الْجِسْمَ وَاحِدًا فِيهِ يَبْدُو
مَلِكًا مِثْلَ لَمَحَةِ الْعَيْنِ وَشَيْطَانِ
[هُوَ ظِلٌّ يَبْدُو وَذُو الظِّلِّ يَخْفَى
] وَهُوَ حَيٌّ ذُو فِكْرَةٍ فَادِرٍ مَنْ أَنْ
وَتَرَى تَارَةً سِوَاكَ كَمَا أَنْ
فَإِذَا شِئْتَ كُنْتَ فِي كُلِّ آنٍ
وَتَرَى مَا تَرَاهُ حَقًّا عَلَى مَا
فَتَحَفُّظُ وَانْظُرْ بِمَاذَا تَرَى الْكُلَّ

أغلوطه:

كما أنَّ الجسم المفروض كُليًا يجب أن يكون صحيحاً من سائر العاهات، ولا توجد الصِّحَّة إلا منقسمة في الأجسام الجزئية، كذلك النَّفس الكلية، تقال بطريق الفرض لذات تامّة، ولا يوجد لها إتمام في أحد الأنفس الجزئية، بل يوجد منقسماً مبثوثاً فيها، فسبحان من خلق الإنسان وأقامه لكمالهِ متوسطاً في الكون بين منائح ومصائب ومواهب ومكاسب.

إنسان:

نظم:

[الكامل]

يَعْلُو وَيَسْفُلُ كُلٌّ أَنْ دَائِمًا
يَرْقَى فَيَلْقَى مَا بِهِ يَرْقَى وَأَنْ
فَهُنَا يَرَى وَهَنَا يَرَاهُ بِوصفه

مناجاة:

نظم:

[مجزوء الخفيف]

أَنَا مِثِّي عَلَى خَطَرٍ
فَاحْتَرَسْ وَيَكْ هَا أَنَا لَمْ
لَسْتُ مِثِّي وَلَسْتُ مِنْ
كَ إِذَا خَاطِرُ خَطَرٍ.

تحقيق:

نظم أيضاً:

[الكامل]

مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ أَوْ خَظَرَةٌ
لِيَبِينَ كَسْبُكَ كُلٌّ أَنْ دَائِمًا
فَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ لِأَجْلِكَ مِحْنَةٌ
وَلَيْنَ تُفِقْ فَعَلَيْكَ مُطْلِعٌ يَرَى

زيادة:

وقال أيضاً:

[الخفيف]

عَوْدُ النَّفْسِ فِي مَعَامِلَةِ الْحَقِّ
إِنَّهُ فِي عَدِّ تَعَامُلٍ إِذَا

الخير عادة:

شعر:

[مجزوء الرمل]

كُنْ إِذَا أَخْبَيْتَ عَبْدًا
لَنْ تَنَالَ الْوُضْلَ حَتَّى
لَلَّذِي يَهْوَى مُطِيعًا
تُلْزِمُ النَّفْسَ الْخُضُوعًا.

سؤال:

[السريع]

يُخْبِرُنِي كَيْفَ يَكُونُ الْعَمَلُ
تَمَكَّنْتُ مِنَّا تَذُلُّ الْبَطْلُ

سَأَلْتُ بِاللَّهِ لِمَنْ قَدْ وَصَلَ
فِي غَفْلَةٍ عَمْتُ وَفِي شَهْوَةٍ

جواب:

نظم:

[السريع]

وَعَايَنَ الْمَوْتَ وَقَطَعَ الْأَمَلَ
كَوْنٍ وَأَنْ يَلْقَى الَّذِي قَدْ فَعَلَ
حَصَّلَهُ بَلْ سَاءَهُ مَا حَصَلَ
فَارِطٌ فِي أَقْوَالِهِ وَالْعَمَلِ
لَمْ يَذِرْ مَا مِثْقَادُ ذَاكَ الْمَهْلِ
يُرَاقِبُ الْمَوْتَ كَأَنْ قَدْ وَصَلَ
بَلْ شَغَلَهُ الْمَوْتُ عَمَّا شَغَلَ
اسْتَنْصَحَنِي جَاوِبْتُ عَمَّا سَأَلَ

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَتَاهُ الْأَجَلَ
وَاسْتَيْقَنَ الْفُرْقَةَ مِنْ عَالَمِ الْـ
وَلَمْ يَجِدْ زَادًا وَلَمْ يَرْضَ مَا
فَاسْتَمَهَلَ اللَّهُ لِيَسْتَدْرِكَ الْـ
فَأُعْطِيَ الْمُهْلَةَ لِكَيْتَهُ
بَلْ إِنَّهُ قَدْ عَادَ مِنْ خَوْفِهِ
فَهَلْ سِوَى الْمَوْتِ لَهُ شَاغِلٌ
كُنْ أَنْتَ هَذَا أَيُّ هَذَا الَّذِي

وصية:

اعلم أن جماع الخيرات، وأسر السعادات في التقوى، والتقوى هي عبارة عن ترك المخالفة. فالمُتَّقِي اتقى مخالفة مولاه في أمر أو نهي، ولهذا ضرب الله المثل بإبليس وآدم، فأمر إبليس، ونهى آدم فافهم هذا جيداً، وبسط في ذهنك هذا المختصر، وطالعه طول أيام حياتك، واعلم أنه لا تقوى على تقوى إلا بالصبر، فعليك به في كل آن، واسأل إعانتك بالصبر على ما تكرهه، وعمّا تهواه ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

نظم في ذلك:

[المقارب]

يَكُونُ بِصَبْرٍ عَلَى الْمُشْعَبِ
وَكُلُّ يَمِيلُ إِلَى الطَّيِّبِ

سَبِيلُ النِّجَاةِ وَأَقْصَى الْمَرَامِ
فَأَيْنَ النِّجَاةُ وَأَيْنَ الْمَرَامِ

نهي:

لَا تَرُدُّ إِلَيْهِ بِالْقُدْرَةِ مَا رَدَّ إِلَيْكَ بِالْكَسْبِ.

تعريف:

المُجْرَد من الأهواء يستخرج ودائع العقول بفكرة خالصة.

وصية مخلص ونصيحة متخلص:

احضر الموت تَنُج من كلِّ هَمٍّ، وذَرِ الافتكار في كلِّ فَنٍّ، والزم الصُّمْت ما استطعت، وخذ بالصُّدُق، واصبر في سائر الأحيان وإذا عَزَّ أو تشابه أمرٌ فتمسَّكْ بحكم القرآن.

زيادة:

من سوس النَّفس أنك كلما قتلتها بسيف المجاهدة، أحيها الله فنازعَتْك، وطلبت منك الشَّهوات لتعود فتقتلها ثانية، ثمَّ تعود حَيَّةً، فيكتبُ لك ثواب دائم. وهذا هو الجهاد الأكبر، وهو معنى قوله عليه السَّلام: «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ»^(١)، وبابُ جهادها الجوعُ، وغاية جهادها مُخالفةُ الهوى.

تكملة:

شهوة النَّساء سببٌ لقيام الوجود، ولظهور الأفعال الإنسانية والإلهية، إذ لولا وجود الإنسان الذي له تظهر الموجودات، لكان حكمُها حُكَمَ العدم بالنسبة إلى الإنسان المعدوم، فلولا الإنسان الموجود لما ظهر الوجود، ولولا الشَّهوة لما ظهر الإنسان، فتارك الشَّهوة ترك الوجود بأسره، وقوي على الوقفة في الوحدة بفكره، وأعظم بها صفةً لمن تركها لله بقوةً دائماً، وركي بفكره في معارج التجريد ملازماً.

وصية:

صانوك فلا تتبدَّل، أغروك فلا تتذَلَّ، جدوا بك ولا تكبَل، واستخدموك فلا تكِلَّ، علِّموك فلا تجهل، آمنوك فلا تَحُنَّ.

اكتحل بالفكر وحرَّم على بالك أن يُلِمَّ به الهوينى والفتور، واملك عِنان الفكر كما تملك زمام الذِّكر، وعليك بالعلم المستفاد من النَّظَر في ضمائر القلوب، ومواقع الخطرات، وما يتصل بكلِّ خطرة وهاجسة، وما ينقدح في القلب من نورٍ، وصفاءٍ،

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى، حديث رقم (٢٦٧) [ج ٢ ص ١٣٩]، وهو من كلام سيدنا عيسى عليه السلام. وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٣٢٠) [ج ١ ص ٤٩٥] وأورده غيرهما.

وظلمة، ورَيْن، ممّا لا يكاد ينشرح به صدرٌ إلّا عن موهبة إلهية. اللهم إلّا أن تنكت من الله في قلب عبد مؤمن نكتة تفرعه لما هو الأهم، فيفزع حينئذٍ إلى النّظر فيما راعه حتّى يتدرّج بذلك إلى أن ينال شرحاً لصدّره بعد الجهد الجهد، والتّعب الشّديد.

وليس يكاد التعجّب ينقضي ممّن يزن بالعقل، وينسب إلى العلم، ثم لا يغنيه النّظر في ضروب ما يعرض في قلبه من الخواطر التي هي فواتح أفعاله، وبواعثها، ثم في منازل فكره.

وربّما تشدّ عنايته في تعرّف أحوال عينه التي هي موضع بصره الظاهر، وقد علم أنّه يعرض لقلبه ما يعرض لعينه من عَوَرٍ، أو ضعفٍ، أو عمى. كذلك يعرض لقلبه ما يعرض لسمعه من الآفات، وكيف يرى تعلّم ما يصلح به ظاهره من العلوم الظاهرة، وقلبه جاهل بحاله، ولو عمل على إصلاح سرّه، وإخلاص طويته بمراقبة قلبه لدحض آثار وساوس تحدث فيه بتردد واضطراب، إلى أن يقوى خاطر حق لا تردّد فيه فسُمّي همّة، فإن بعث على فعل جزم سُمّي مشيئة. وللأدعية أثر عظيم هاهنا، والله المُمِنُ بكرمه.

الباب الثاني في العامل

يا من هو الأقرب إليّ منّي، يا قاطع كلّ قاطع، تکرّمت عليّ بنفسي فبخلت بها عليك، وأنت الذي تملكها دوني، كأنتك من كرمك ذو حاجة إليّ، وكأني من بُخلي ذو غناء عنك، أنت الأكرم عاود الأبخل ونجاه في سرّه، أنا ابتليتك ليؤنس بهما يوحشه متعرّفاً إليه بما يتوب به عليك.

قال: إن خفتك فما عرفت، وإن خفت غيرك فقد أشركت، لكنني لا أخاف إلاّ إياي، ولا أؤاخذ إلاّ بهواي، أسألك بعفوك سؤال الآمين، ولذنبني سؤال الخائفين، أن تجعلني من الدّاعين المخلصين لك الدين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وتمام الفاتحة.

كلام في النّفس وفيما هو من جملة الحكمة في إيجادها:

النّفس مخلوق شريف لشرف موجدّها سبحانه، أوجدّها على هيئة قابلة لفيضه، يمكنها عرفانه بعرفانها إياه، ولا مطلقاً لأنّ لها أولاً كانت قبله عدماً بذاتها، ووجوداً في العلم، فهي باعتبار ما معاني الصّور الظّاهرة، وصور المعاني الباطنة، وإنّما خلقت من عدم لتكون باقية من غير عدم، وإنّما تبقى بمعرفتها الواحد الأوّل سبحانه وتعالى، فلو أوجدّها غير محجوبة بالجسم لحجّبها رؤيتها إياه عن رؤيتها لمولاها، فتلطّف لها بحكمته، وحجبها لرحمته، وأراها إياه فيما عداها، فالتذّت بها وتألّمت في سواها، ثمّ أمرها بشرائعه ونهاها. فإذا تركت هاهنا لذاتها، وتجرّدت عن إرادتها، فذلك أخصّ حالاتها، لأنّها إنّما تركت ذاتها فلم تحتجب هناك بها عن رؤية ربّها، وذلك هو نهاية المرام، وتمام الكلام، وإنّ لها في عالم الجسم حالات لا تُحدّ، ومقامات لا تُعدّ، في دائرة أبدأ ولا تُردّ، وكلّما دارت دورة منها ظهرت لذاتها بذاتها، واختفت عنها لعلو صفاتها، فربّما ظنّت إياه فاعلاً ومفعولاً، فليست من الكبر رداء يردّيها، ويحجبها بما فيها، فيطلع عليها بارئها فيهديها ويداويها، ثمّ يدبرها ويربّيها، فإذا دارت ثانياً رأت ما رآه بادياً، لكنّه في رتبة أعلى، ومحلّ أجلى وأحلى، فلمّا علّت إذ دنت، قامت في مقامها، وادّعت فعاد سبحانه عليها برحمته عليها، وهداها بما لديها،

ثم سلم زمامها إليها، فلم تزل على هذا المنوال دائرة بهذا الحال، وما ذلك إلا لأن من سوسها أنها متى انفصلت عن لذاتها، واتصلت بذاتها، ونزعت إلى كمالها، وبزغت في جمالها، وتحلت بصفاتها، وتجلت على ذاتها، شاهدت إياها في كل ما سواها، فاستلذت لذة عجيبة لا تحصرها الألسن، ولا تُشاهد بالأعين، ومع هذا كله متى لم تكن معصومة بالنبأ العظيم، مهديّة إلى الصراط المستقيم، فإنها على ما هي عليها محجوبة عن معنى المعاني، قد اشتبه عليها الأول بالثاني، ثم إنها ربّما رقت، فترقت، فدارت بادية، وعادت غادية، فدخلت من غير الباب، ولبست غير تلك الثياب، ثم نظرت فيما قطعت فوجدته الآن جرعة من شرابها بل سِنَّة من سرابها، فتوارت في أحلامها، وقامت كما قامت قبل في مقامها، ولكنها فتنت بأنها تُشاهد في سائر الصفات، ومجموع الحالات صور المثالات مجموعة ومفرقة، كلية وجزئية، ظاهرة وباطنة تنطق بالأحذية، وتشهد بالأزلية الأولية، فلما شهدت شهاداتها في مرآة ذاتها، مالت حينئذٍ إليها، ووقفت ذاتها عليها، فتقدّمت أسماؤها، وتعالى علاؤها، وإنها في سائر هذه المثالات المضروبة، والحالات المحبوبة، مطرودة بها، محجوبة بسببها، ولا تزال كذلك في سائر المسالك، وكلّما علت في الممالك هوت في المهالك، إلا إن دخلت من الباب، واعتصمت بالكتاب، فهناك توالتجتها المحن، وتخالجتها الفتن، فإن استقرت في سائر الحالات مستمرة على الثبات، ربما عطفها عاطف عنها إليها، ثم أخذها منها، وردّها عليها، فرادها رائد من الشوق، وزادها مما يكاد لا يدرك إلا بالدُّوق، فتغيّرت تلك الأغيار، وطمست تلك الآثار، وحالت الحالات وانخلعت الصفات والهيئات، وهاهنا أيضاً ربّما وقفت فانحرفت، أو انفصلت فاتصلت، فإن استقرت جاحدة، واستمرت ساجدة، فهناك لها الإيماء إلى ذلك، وقد كادت أن تقطع عنه المسالك. وعلى هذا التقرير يجب أن يكون التدبير، كلّما ظهرت عزة ذلت، وكلّما بهرت كثرة قلّت، وهي أبداً تخلع ملابس الكبرياء، وتتقمّص بقمص الفقراء، وتتبع مواطن الإسقاط، وتسلك سبيل الانحطاط، إلى أن تصل إلى الحدود، وتحلّ محلّ المولود، فتكون على فطرة الإسلام، فتلك رتبته والسلام.

وبعد هذا النظام، والاعتصام بالإمام، قلبك أبداً إياها مردوداً عليها، وراجعاً إليها، لئلا تبرز اللطائف في الكثائف، والمعارف في المآلف، فتشتغل عن ورودها منها بما تورده عنها، فإن من المعاني ما لا يدرك بالمباني، ومن الباقي ما لا يمثل بالفاني.

نقل من الروض الأثف:

الروح هي النفس باعتبار، وهي العقل باعتبار. فالروح مشتقة من الريح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، ولم يقل: من نفسي، ومثل ذلك أن الماء الذي يسري في أصل الشجرة إنما هو ماء، فإذا مازج جسمها صار حامضاً أو حلواً مثلاً، وكذلك نفخ الروح في الجنين. فإذا كبر واكتسب سُمِّي بعينه نفساً. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. ويعبر بالنفس عن جملة الإنسان. تقول: عندي ثلاث أنفس، ولا تقول: ثلاثة أرواح وقد جاء في الكتاب العزيز مما يدل على هذا كثير.

وكذلك الكلام في العقل، إذا اتصفت به النفس صارت عقلاً يعلم ذلك بالفكر مع الوقوف على مقتضى الألفاظ لغةً.

صلة:

شعر:

[المنسرح]

واشتقَّ عقل من العقل كذا لك النفس مشتقة من النفس
فالوصف كالذات قد أقيم كذا الـ وصف مجاز كالقُبس والقُبس

بيان:

ليس العقل شيئاً سوى التصوُّر والتَّمثُّل، وإذا عدمته النفس عدمت ذاتها، فهي ميتة.

من رسائل إخوان الصفاء:

سريان قوى النفس في مفاصل الجسد واختلاف أعضائه. كسريان أجناس الملائكة، وقبائل الجن والإنس والشياطين في أطباق السموات والأرضين، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين. فانظر إلى هذا الهيكل المبني بالحكمة، وتأمل هذا الكتاب المملوء من العلوم، وتفكر في هذا الصراط المستقيم بين الجنة والنار، وتأمل هذا الميزان الموضوع بالقسط. فكما أن حياة الأبدان بالتنفس، فكذلك حياة النفوس بالتفكير، وكما أن النفس لا تسكن في الثوم واليقظة، كذلك النفس في الفكر والجولان، وكما يتصرف المتكلم في النفس الطبيعي، فيجعله إرادياً، كذلك يتصرف في الفكر. ولما كانت الحركة في جملة العالم، لزم أن يكون محدثاً للزوم والاختلاف والتغير، فسبحان الذي لا يتغير ولا يحول.

أمر:

لِيَكُنْ قَصْدُكَ مِنَ الْأَفْعَالِ غَايَاتُهَا، فَإِنَّ الزَّرْعَ لَا يُطْلَبُ لِلْعُشْبِ، بَلْ لِأَجْلِ الْحَبِّ.

إيضاح شريعة بحكمة رفيعة:

إذا فارقت النفس هيكلها بقي لها ما اكتسبته من العلوم الزبانية والأعمال الدنيئة، والأخلاق الصالحة الزكية، فلذتها بها مستمرة، كلما لاحظت ذاتها امتلأت سروراً، وإذا كانت بالعكس ورأت جوهرها مظلماً فاسداً، امتلأت ترحاً وغمماً، وكيف الفرار لها من ذاتها، فهذا خلود في جحيم، وعكسه خلود في نعيم، فاحذر أن تقتصر على هذا فقط، لكنه مثال ومن ورائه قبول ما بعده، وكلّ قابل إنما يقبل بحسبه، ومن جنسه ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [هود: ٢٠]، و﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ [سبأ: ٣٧]، و﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

[الطويل]

وقال: نظم:

تَوَخَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ وَاجْتَنَحَ إِلَى الثَّقَى	وَحَلَّ عَنِ الْآثَامِ وَاجْتَنَبَ الْفُخْشَا
تَفَرَّدَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ اتَّخَذَتْهُمْ	لَأَنْسِكَ وَاسْتَبْدِلَ مِنَ الْأَنْسِ الْوَحْشَا
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا مُسِرَّ عَدَاوَةٍ	يُعِيرُكَ نُضْحاً وَهُوَ مُغْتَقِدٌ غُشَا
أَرَى بَاطِنَ الدُّنْيَا سُمُومَ أَزَاقِمِ	وَإِنْ مَلَأْتَ لِلْعَيْنِ ظَاهِرَهَا نَفْشَا

مثال:

يجب أن تفقه من خاصية الدنيا أَنَّ الْقَلْبَ يَمِيلُ إِلَيْهَا، فمتى قابلها عن قُرب جَذَبَتْهُ جَذَبَ الْمَغْنَاطِيسِ لِلْحَدِيدِ، وَشَفَاؤُهُ فِي الْبُعْدِ، وَكَلَّمَا بَعْدَ أَمْنٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ شِدَّتُهُ وَبِأَسْهُ، وَكَسْرُهُ لِسَائِرِ الْأَحْجَارِ عِنْدَ الْقُرْبِ، وَذَلِكَ لِعَلَّةِ عَشْقِيَّةٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْقَلْبَ بِهِذِهِ الْمَنْزِلَةَ لِيَمِيلَ بِسَهُولَةٍ إِلَى الرُّوحَانِيَّاتِ عَنِ الْجِسْمَانِيَّاتِ، وَكَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ إِذَا لَازِمَ الْمَغْنَاطِيسَ زَمَانًا صَارَ فِيهِ قُوَّتُهُ فَجَذَبَ حَدِيدًا آخَرَ، كَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا لَازِمَ الرُّوحَانِيَّاتِ فَعَلَ فِي غَيْرِهِ كَفَعْلِهَا فِيهِ. وَكَمَا أَنَّ مِلَازِمَةَ الصَّالِحِ تَوْثُرُ الصَّلَاحَ، فَكَذَلِكَ مِلَازِمَةُ الْفَاسِدِ تَوْثُرُ الْفَسَادَ.

شريعة بحكمة:

النفس كالزُّجاجة الصّافية، وقد ملكها الله اختياراً وإرادة تتمكّن بهما من الميل إلى الشيء وضده، وهو سبحانه يمدها بما تريد لقوله تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]. والثواب والعقاب إنّما يقع على ذاتها من جهة صفاتها، والشيطان عبارة عن مجموع الصفات الرديئة، فمتى اتّصف بها عادت كذّابة، متكبرة، جاهلة، غلاظة، لا تحفظ عهداً، ولا تكتم سرّاً، ميالة أبداً إلى الشهوات، فإذا استمرت غلبت عليها العوائد وألفت الفاني، وقيدتها حبُّ الرّاحة والتّواني، فصارت هذه الأخلاق لها كالطّبع، فلم تتأثر بوضع ولا شرع، وعلاجها في سائر الأمر بما تكره لتلبس الصّبر.

نظم في ذلك:

[البسيط]

لِلنَّفْسِ وَجْهَانِ لَا تَنْفَكُ قَابِلَةً	مِمَّا تَقَابِلُ مِنْ عَالٍ وَمُسْتَفِيلٍ
وَجْهٌ إِلَى الْحَقِّ فِيهِ الْحَقُّ ثُمَّ لَهَا	وَجْهٌ إِلَى الْخَلْقِ لَا يَنْفَكُ عَنْ زَلِيلٍ
كَنَحْلَةٍ طَرَفَاهَا فِي مُقَابِلَةٍ	فِيهَا مِنَ اللَّسْعِ مَا فِيهَا مِنَ الْعَسَلِ
وَالْعَقْلُ يَشْهَدُهَا الْأُولَى فَكُنْ أَبَدًا	مُقَابِلًا قَابِلًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

من رسائل إخوان الصفا:

النفس الكلّية تُسمى عند الحكماء طبيعة، وعند المُشرّعين هي ملك من ملائكة الله الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وكما ينبثق النور والحرارة من الشّمس التي هي بوسط الأفلاك في جميع العالم، ويمدّ كلاً بحسبه، وبه يحصل التكوين وغير ذلك، كذلك في الإنسان من الحرارة الغريزية المنبثقة من قلبه، المتصلة بجزئيات بدنه، ومن زُحل في العالم الأكبر، كما من الطّحال، ومن المريخ كما من المرارة [الصّفراء] ومنه مالك، ومن المشتري كما من الكبد ومنه رضوان، وكما من الزّهرة كما ينبثق من جرم المعدة شهوة الملاذ ومنها روحانيات الحوت، ومن عطارد، كما من الدّماغ، ومن القمر كما من الرّئة، ويعاون بعضها بعضاً في الأمر الواحد، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

نظم:

[الكامل]

فَالْأَرْضُ كَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَحَوْلُهُ الْ	أَفْلَاكُ وَالْأَمْلَاكُ كَالطُّوْافِ
وَبِهِ الْخَلِيفَةُ ظَاهِرًا وَفَوَادُهُ	بَيَّتَ بِهِ ذَاكَ الْخَلِيفَةُ خَافِ

حَيِّ عَلِيمٍ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ يَخْتَارُ يُبْصِرُ سَامِعٌ بَتَّنَافٍ
وَلَأَجْلِهِ كَانَ الْجَمِيعُ لَأَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ
فَاعْرِفْهُ مَخْلُوقاً تَعَالَى رَبُّهُ عَنْهُ وَهَذَا فِي الْعِمَارَةِ كَافٍ

موعظة:

العالم الغير عامل كالحاسب لغير حاسب، والتاجر إنما يفتقر إلى الحساب من أجل أن له المال، وعدم الأعمال أشد ضرراً من عدم المال.

تجربة وعلم:

إذا طالبته لاطفك بكل شيء، فإذا عرفت أنه قطع عنك كل شيء، فإذا لم تر في كل شيء غيره، أعطاك كل شيء.

تعريف:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

النفس ملك بالقوة، يمكن أن يكون ملكاً بالفعل، وشيطاناً بالقوة يمكن أن يكون شيطاناً بالفعل، وأمرها إليك، وزمامها بيدك، فإن أطعتها عصمتك، وإن عصيتها أطاعتك.

بيان واف:

سائر المحسوسات في العالم الأكبر أمثلة لما في العالم الأصغر، وهو صاحب الأسماء المسخر له ما في الأرض والسماء، الخادم لإيائه، المخدم فيما عداه. فكيفه ظهر، ولطيفه استتر، وهو المبسوط في العالم الأكبر ليعرفه بما جل، والمجموع في العالم الأصغر ليثبت به بما قل. ولما بدا في المظاهر اختفى في الظاهر، فيظهر في الخارج، ويرى ما وجب ظهوره من الباطن مما لا يرى، كما تبين للإنسان من إنسان أو حيوان أو معدن أو نبات أو هيئة من الهيئات في سائر الأوقات ما يحبه ويكرهه، أو يعرفه أو ينكره، إعلاماً له في الظاهر بحالة الكامن في الباطن. وكما أنه يدرك في النوم بحواسه الباطنة صوراً في خياله، فكذلك يدرك بحواسه الظاهرة ما ينطق بحاله، ونتيجة المدركين هدى في المثاليين ليظهر لأولي الأبواب فضيلة الاكتساب، والاتقى يرقى، وسيجئها الأشقى، فذو الفرقان بذاته ناظر في مرآته، مهدي إلى صفاته. في سائر أوقاته، فإن نظر إلى سواه، لم ير إلا إيائه، مثاله حاذاه، مقاله ناداه، فعاله باداه،

خياله عاداه، فليترفق بنفسه في عقابه، وليتلطف بآياه في سؤاله وجوابه، إذ عائد كُل ذلك عليه، والأمر فيه إليه، والولد والآل، والحال والمال، فتنة في الخيال، والقال والفعال، والهجر والوصال، والحرام والحلال، والأضداد والأشكال، وبقية الأحوال ضربت له بها الأمثال، والحقائق على حالاتها، والدقائق على هيئاتها، وما خرج عن كيانه، أو تنحى من مكانه، فذلك بحسب رأيه لا لحادث حدث فيه، بل كل حقيقة قائمة بذاتها، ثابتة في هيئاتها وإنما يظهر لتغير مرآتها تغير في صفاتها، وصاحب الدارين هو المسمى باثنين أنت أنتى. فسائر المعاني للواحد الثاني، ولولا وجوب الأول لما انتهى السبر، ولولا تغير الثاني لما علم أنه غير.

زيادة:

كل مشاهد في عالم الكون تمثيلات معانٍ في عالم العقل، والحقيقة غير زائلة، ولا بائدة بزوال المثل، وإنما يصور العقل ذاته في الهَيُولَى، ثم ينظر بذاته إلى معاني ذاته، فيلتذ لا بشيء خارج عنه لذّة عجيبة سرمدية، ونعني بالعقل هاهنا النفس العاقلة، وهذا هو الترجمان الأعظم.

تتمة:

كما أن المرأة التي رسخ فيها الصّدأ لا يؤثر فيها الصّقال، إلا أن تعاد إلى النار، كذلك النفس المغمورة في حب الدنيا، لا يؤثر فيها المواعظ، إلا أن تُردّ إلى المصائب.

نظر:

الإنسان ناطق لا يزال فمهما لم يُشغل فينطق بالذكر نطق بالفكر، ومتى لم يقيد العقل جرى في ميدان التفاف والجهل.

مضارع:

الإنسان مُسَخَّرٌ، ومُسَخَّرٌ له، فمتى لم يستعمل الملائكة استعملته الشياطين.

صحة:

إذا قويت النفس على قهر هواها شغلت بمولاهها، وهذا مع علاقاتها البدنية، وضرورياتها الدينية، فهناك هي أولى بذلك لتمام التجريد، وانكشاف سرّ التوحيد.

حالة للنفس:

النفس ترى ظاهراً صور معانيها، وباطناً معاني صورها، فالوجود بما فيه، هو دخول صورها في متصورها.

هداية وكشف:

لَمَّا كَانَ الْبَارِئُ تَعَالَى غَنِيًّا عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَقَدْ خَلَقَهُمْ فَاعِلِينَ مُخْتَارِينَ بِقُدْرَةِ وَهْبِهِمْ إِيَّاهَا سُبْحَانَهُ، وَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ عَائِدُ أَفْعَالِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَزِمَ أَنْ يُعْرِفَهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ مِنْهَا وَمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَدْلَهُمْ عَلَى اسْتِدْرَاكِ مَا فَرَطَ، وَجَلِبَ مَا يَزِيدُهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ، فَعَرَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي، مَا يَضُرُّ وَمَا يَنْفَعُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ بِصُورَةِ الْأَمْرِ مِنْهُ، حَتَّى كَأَنَّ الْعَائِدَ يَعُودُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ تَأْكِيداً، ثُمَّ عَلَّمَهُمْ اسْتِدْرَاكِ مَا فَرَطَ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَجَلِبَ مَا يَزِيدُ بِالْإِدْعَاءِ، وَرَبَطَ الْأَمْرَ بِالصَّبْرِ، وَجَعَلَ هَذَا الْقَدْرَ رِضَاهُ مِنْهُمْ تَرْغِيباً لَهُمْ فِيهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَطْلُبُ اللَّهَ، فَغَايَتُهُ أَنْ يَطْلُبَ رِضَاهُ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَاهُ فَهُوَ الَّذِي عَمِلَ عَلَى مَصْلَحَتِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، فَمَا ظَهَرَ مِنْهَا حَقُّقُهُ بِالْعَقْلِ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ، وَمَا خَفِيَ قَلْدُهُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنِ الْكِتَابِ، وَمَتَى تَبَيَّرَ الْعَبْدُ مِنْ هَوَاهُ، وَعَمِلَ عَلَى نَفْعِهِ مُقْتَدِياً بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ بَلَغَ رِضَاهُ، إِذْ لَا يَعُودُ النَّفْعُ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ إِيْجَادَ الْوُجُودِ لَا عَنْ افْتِقَارٍ وَلَا عِبْثٍ، فَقَدْ تَحَقَّقَ مَا قُلْنَاهُ.

واعلم أنَّ الله تعالى قد خلق الأكوان، ووهبها للإنسان، وهداه ومكَّنه فيما لديه، وجعل اختياره وأعماله عائداً عليه، وجعل الأمر في ذلك إليه.

[البسيط]

نظم في ذلك:

يَا نَائِماً عَنْ هَوَاهُ قَطَّ لَمْ يَنْمِ قُمْ وَاقْرَعْ الْبَابَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَالْكَرَمِ
مَا كَانَ كَانَ فَلَا تَفْكُرْ بِهِ أَبَدًا إِذَا نَدِمْتَ أَضَعْتَ الْعُمْرَ فِي النَّدَمِ

نبأ:

جميع الملاذ والمحجوبات، بل سائر المعقولات والمحسوسات موجودة في النفس مضافاً إلى ما فيها أيضاً، وإنما رأت في الخارج وأحبَّت ما هو فيها، وإذا فارقت بالموت، إنما فارقت علاقتها علاقته الصورية، ثم وجدت ما شاءت من أهلٍ وولد، وغير ذلك أقرب إليها، وأيُّ قرب، لأنه لا مكان هناك فيعتبر فيه القرب بالنسبة إلى بعد، ولهذا إنما وسعت الأفهام هاهنا من ذلك ما جاءت به العبارة العليا

بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ [ق: ٣٥]، ثم قال ما يدق فهمه عن إدراك البصائر، فيحتاج إلى الإيمان بالغيب، وهو قوله سبحانه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ولا أعظم من هذا، وفي قبالة هؤلاء ما أنبأ فيه بقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، لأن جميع ذلك في النفس مركز مبثوث، مشاهد لها فيها حيث ما تُشاهده في الخارج من جميع الجسمانيات، فإذا زالت الحُجب الجسمانية رأت ذلك حاضراً، ولهذا مثال مشهود من المنام الصادق، وهاهنا للمتفكرين في معراجهم يحسبهم فيه.

موعظة لهم وذكرى:

ومن ترقى من هاهنا، ذائقاً بالعمل، مجاهداً لفكرته عن التقلقل، مستقيماً، رافضاً للحواس، ملازماً لحالة عشقية، ملاحظاً للحمد، رقي من محلّ الإنسان إلى مقام التوحيد، ومن هنالك يسير إلى الوصول حتى يصل إلى اليسير فافهم.

ولما كانت النفس لا تنال من القرب إلا بحسب تجريدها، ولا تجريد إلا باجتهد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ولما كان زبدة الجهاد المطلق هو الصبر، كان حكم الصابر كحكم من حبس نفسه عن السير في سائر السبل، إلا واحداً، ومن شأنها سير أبداً فسرت فيه ضرورة.

تقريب:

اخطر ببالك أنك إذا أدمت النظر في بركة ماء فيه أنواع الحيوان، وأشكال على الحيطان، ثم إنك إذا حققت النظر، وتوغلت في التأمل والفكر، فوجدت أن سائر ما شاهدته في ماء البركة من جميع معانيها، إنما هو خيال لما في الدار التي أنت جالس فيها، لكنك شغلت برؤية ما لديك عن الالتفات إلى ما هو حواليك، فإذا رفضت الفاني، وقلبت النظر، شاهدت الباقي كلمح البصر، فخلّ اختلالات الخيال، وخذ على هذا المثال، قبل وصل القطع، وقطع الوصال.

ترهيب وترغيب:

جماع الشرور والأضداد، في عالم الكون والفساد، لأنه مأوى كل نزر رذيل، ومتغير مستحيل، وصورة الإنسان هي نسخة الأوان في محل التغيرات، ومقر الآفات والاختلافات. ولهذا أصل القبائح والشرور ينشأ عن الجسمانيات، وكلما قويت علاقة النفس بهما، كان بعدها عن الروحانيات بحسبها، وتستمر العقوبة عليها متواترة، في الدنيا والآخرة، إلى أن تتحقق الحقائق، وتنقطع العلائق. فإذا انتقلت من عالم

الأجساد، فارقت العوائق والأضداد، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]. فمحبوب الأشباح مُتَغَيِّر مع الأحيان، ومحبوب الأرواح ثابت في كُلِّ آن، وحيث الفناء يكون المحبوب بحسبه، وحيث البقاء يكون المحبوب بحسب مُحِبِّه، وقد يُضرب المثال بما تصوّره الخيال من استحضار صور لطيفة عجيبة في الجمال، وإذا وجدت ظاهرة رأيتها كثيفة متغيرة المواد والأشكال، وظلمة الأجساد الموجبة للاختلال، فمن شهد المثال زهد في الأهل والمال، ولذات الخيال. ومن عمل للمال بلغ الآمال، ووجد ما فقد باقياً على أيسر حال، وأنعم بال، وكما هاهنا محلّ المتاعب، وعدم اللذات الفانيات، فهناك مقرّ الرّاحات، ودوام اللذات الباقيات.

علاج:

كما أنَّ النَّفس في الظاهر إذا مُنِعَت محبوبها ضاقت وغضبت، كذلك في الباطن قد يحتجب عنها أمرٌ حقٌّ، فيجد الإنسان انحصاراً وضيقاً لا يعلم له سبباً، فليبعد عن الفاني تُكشَف له المعاني.

كشف ردى وسبيل هدى:

لا معنى للظلم إلا أن تمنع الغير شيئاً يستحقّه من الخير، فالذي ظلم نفسه هو الذي منعها حظّها من الصّلاح بميله إلى الفساد، وإنّما خُلِقَ ميّالاً إلى الطّرفين ليميل عن الشّرور والشّهوات إلى العقليّات، فمن حيث مال إلى الأدنى فقد ظلم نفسه بمنعها عن حظّها من الأسنى، فهاهنا هو إنسان ظالم، وهنا هو إنسان عادل، وبهذا يعلم معنى قولهم: أوّل مراحلك أن ترحل عنك إليك، ثمّ ترحل إلى ما كنت به إليك عنك، ثمّ تصير إلى من به رحيلك، وهو الذي كان معك في الطّريق، ولاطفك في كلّ حال، وأخبرك عنك ثمّ نبأك بما لم يكن سرّه وعلائيته إليك، فلمّا صفاك واستصفاك صافاك، ولمّا صافاك قطع كلّ ما بينك وبين غيرك، ثمّ قطع كلّ ما بينك وبينه، ثمّ جمع كلّ ما قطعك به، فجعله وصلة لك.

زُهد:

الشّوق إلى الأشباح شوقٌ إلى الفاني، والعقل مُنَزَّه عن ذلك لإيثاره الباقي وما لا بقاء له، فلا فرق بين كثيره وقليله، ومن خداع النَّفس أنها توهم الشّوق إلى الأرواح بواسطة الأشباح، فيقال لها: إنّ من الجائز أن يكون المشتاق إليه قد مات، أو انقلب عدوّاً، أو هو حين الاجتماع به شيطان، أو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، فكيف يجوز الشّوق إلى مَنْ لم يتحقّق من

حاله سوى صورة الجسم مع جواز عدمه، فلم يبق سوى ظن، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، وما لا بد من مفارقتها فلا فائدة في مواصلته ﴿إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلُكُمْ فِتْنَةً﴾ [التغابن: ١٥]، وإذا كان كل ما يفعله العبد مع غيره، أو يفعله غيره معه من خير أو شر، ليس له أثر في الآخرة إلا في فاعله، ولا يناله خير إلا من عمله، لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. فما الحزم أن تعمل لسواك، ولا أن تشاق إلا إلى إيتاك.

وصية:

اجعل جسدك بيتك، وقلبك خلوة في البيت، واجتهد أن لا تبرح في خلوتك منتظراً لمحبيك، فلعله أن يزورك فيجده حاضراً، والمكان خالياً.

تعليم:

اعلم أن قيمة العمر ما يكتسب فيه، فمن كسب الباقي فلا يقوم كسبه، ومن كسب الفاني فلا قيمة لكسبه، ولا كسب أفضل من علم، فكثير العمر مع الجهل قليل فإن، وقليله مع العلم كثير باق، وتطويل قصيره إنما هو بالتجريد، وتقصير طويله صرفه فيما لا يفيد، ومن استفاد علماً، ولو في لحظة أو في نوم أو يقظة ندم على ما من عمره فات، واحترز على باقيه من الآفات، فطالت بالعلم أوقاته، وطابت بالطاعة حياته، والمعرضون عن الطاعة ﴿مَا لَكُمْ شَأْنٌ خَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرؤم: ٥٥].

شیطان:

الشیطان اسم مشتق من شاط يشوط شوطاً في الأرض، وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن خاطر الذي لا يستقر به الفؤاد، بل يشوط دائماً في الأرض، ويهيم في كل واد.

والخاطر خاطران؛ علوي: وهو الملكوتي، وينقسم إلى أقسام هن بمنزلة الملائكة، وسفلي: وهو الأرضي الذي أهبط من الجنة إلى الأرض، ومعنى الجنة مأخوذ من الاستتار للطفها وروحنتها، ومعنى الأرض الجسمانيات، وما يتعلق بها، فما كان من الخواطر علوياً فهو روحاني ملكوتي، وهو من الجنة، وما كان سفلياً فهو جسماني شيطاني، وهو من الجنة.

يا عاقل! هو أبى أن يسجد لك سجدة واحدة وقد أمر، فكيف تسجد له دائماً وقد نهيت.

حق:

لو قدرنا أن إنساناً تحقق أن متاعبه في النوم تنقلب راحاتٍ في اليقظة، وبالضد، ثم رأى مناماً يتضمّن المتاعب، ويحتوي على المعاطب، مع علمه أنه نائم، لما كان يبالي بما يراه من المصائب، ولا يأسى على ما فاتته من الأطايب، لتيقنه أن ذلك من باب الخيال، وتحققه بما يؤول إليه الحال، ومن أبلغ الكلام في هذا المقام، قوله عليه السلام: «الناسُ نيامٌ»^(١).

لمحة الجنان من ملحّة الجنان:

سرت نسمة فسرت كرباً، وسرت قلباً، وجلت همّاً، وجلت مشاهدة وعلماً. إن ذوات اللذائذ والطّيّيات من المنظورات والمسموعات، وبقية المحسوسات، إذا تجرّدت منها الذات، وعلت بملكة التجريد عنها عليها، رُدت لطائفه إليها، فإن نظرت إلى ما فوقها من العقليّات أمدّت بالهيات العليّات، وإن نظرت إلى ما دونها من الحسيّات واللذائذ الجسمانيّات، شهدت في ذاتها سائر مطلوباتها، واستمرّت في الحاليتين خالدة في جثتين، وقد تضرب الأمثال فيما يتصوّره الخيال، وإن جلّ عن المقال، كالنّاظر إلى خضرة البستان، ونضارة الأغصان، وجريان الغدران، مع سماع ظريف الألحان، على لطيف العيدان، من طرائف الحسان في محلّ فيه الأمان والأمان، فهذا يجد في ذاته من إدراك لذاته ما لا يخطّه البنان، ولا ينطق به اللسان، حتّى لو أغلق عينيه، وحجب عن السّماع أذنيه، لبقيت لذّته تلك مستمرة عليه، وربما تلطّفت في مرآة الفكر، فزادت على لذّة النّظر، فهذا اللّذيد الموجود مع الإعراض عن المشهود، منه جثتان ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرّحمن: ٤٨]، موجودتان في كلّ آن، خباء في ذات الإنسان، فلو غاب لحضر، ولو نسي لذكر، وشهد في ذاته كلمح البصر سائر مطلوباته ممّا بطن وظهر.

الحاق:

الطّاهرات المقدّسات، والرّوحانيّات الواصلات لم تزل ذاكرات، شاهدات حاضرات، وإنّما شغلك عنها الحسّ فظننتها غائبة، ولو قطعت شواغل الأجسام،

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير، من كلام سهل بن عبد الله التستري برقم (٥١٥) [ج ٢ ص ٢٠٧]، ولفظه: «الناس نيام فإذا اتبها ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم» ورواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء [ج ٧ ص ٥٢] من كلام سفيان الثوري.

كحالتك في المنام، كشف لك سر اللطائف الروحانية في الصور الجسمانية، وخطبت بأسرار الذوات، وأسجد لك ما في الأرض والسماوات.

[الطويل]

نفس:

هِيَ النَّفْسُ تَنْمُو دَائِمًا وَنُمُوها دَلِيلُ خُذُوثِ الْعَالَمِ الْمُتَجَدِّدِ
زِيَادَتُهَا عَنْ أَمْسٍ ذَلِكَ حَقِيقَةٌ عَلَى أَنَّهَا فِي الْيَوْمِ أَنْقَضُ مِنْ غَدِ
فَنُقْصَانُهَا بِالذَّاتِ أَصْبَحَ شَاهِدًا لِرَبِّ يَرَاهَا بِالْكَمَالِ الْمُؤَبَّدِ

إعانة وعلاج:

يُسْتَعَانُ عَلَى النَّفْسِ بِثَلَاثٍ؛ الْأَوَّلُ: بِمَنْعِهَا مَشْتَهَاتِهَا، فَإِنَّ الْحِمَارَ إِذَا مُنِعَ بَعْضَ قَضْمِهِ انْقَادَ. الثَّانِي: تَحْمِلُ أَثْقَالَ الْعِبَادَةِ فَإِنَّ الْحِمَارَ الَّذِي يُذَلُّ حِرَانِهِ إِنَّمَا يَذَلُّ بِثِقَلِ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ. وَالثَّالِثُ: التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَرِّهَا دَائِمًا. وَيُسْتَعَانُ عَلَى الشَّيْطَانِ بِثَلَاثٍ: تَعَرُّفُ مَكَائِدِهِ، وَتَرْكُ الْإِعْتِنَاءِ بِوَسْوَستِهِ، وَإِذْمَانُ ذِكْرِ اللَّهِ.

أصل:

زَيْدٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصُومَ، أَيْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الصَّوْمِ. زَيْدٌ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَصُومَ أَيْ لِعَجْزِهِ، فَافْهَمِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْإِمْكَانِ وَالتَّمَكُّينِ. فَنَقُولُ: أَبُو لَهَبٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنَ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يُؤْمِنَ، فَأَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَزِمَتْهُ الْحُجَّةُ مِنْ جِهَةِ التَّمَكُّينِ، وَلَا يَكُونُ مُجْبُورًا لِأَجْلِ انْتِفَاءِ الْإِمْكَانِ، لِأَنَّ انْتِفَاءَهُ إِنَّمَا وَقَعَ بِاخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ، فَعَلِمَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْ قَبْلِ.

تهذيب:

إِنَّمَا يُؤَجَّرُ الْأَجِيرُ عَلَى قَلْعٍ مَا يَنْبِتُ مِنَ الشُّوكِ فِي رَوْضَةِ الْمَالِكِ، وَكَلَّمَا تَكَرَّرَ عَوْدُ الشُّوكِ، عَادَتِ الْأَجْرَةُ لِلْأَجِيرِ. وَنَفْسُكَ رَوْضَةٌ أَنْتَ أَجِيرُهَا، فَهَلْ يَحْزَنُ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَفْرَحَ بِهِ إِلَّا كَسْلَانُ يُحْرَمُ الْأَجْرَةَ.

معراج:

الْقُرْآنُ فَهْرَسْتُ الْكُلَّ، فَاسْتَعْرَضْتُ مِنَ الْعَوَالِمِ مَهْمَا أُمْكِنَ بِقُرْآنِ الْفَجْرِ، مُتَرَقِّبًا مَا يُوحِي إِلَى فِكْرِكَ مِنَ الْمَعَانِي بِالْمَبَانِي، فَإِذَا تَأَلَّقَ بَرْقُ فِكْرِكَ فِي مَعْرَاجِ فَاحْفَظْ أَوَّلَ نَهَارِكَ بِالْفِكْرِ فِيمَا بَدَأَتْ بِهِ، يَحْفَظُ لَكَ النَّهَارَ كُلَّهُ.

النفس:

للنفس مواطن؛ فهي في كل موطن غيرها في غيره. ومع ذلك هي هي، ومواطنها لا تُحصى، وحالاتها وأسمائها لا تُستقصى، فهذا حالها مع موجود موجودات سواها، وواجب سواها. فإذا استقامت في موطن صدق، وقامت على قدم عشق، في باطل وفي حق، تجلّت لها ذاتها، وقد تجلّت بصفاتها، فخاطبها معناها كأنه سواها، فظهرت في صورة جسمانية كثيفة، أو معانٍ روحانية لطيفة، فتراها في منامها، وتخطبها في أحلامها بأنواع الغرائب، وتخبرها عن الغائب، وإذا قويت عوائدها، وأثمرت فوائدها، سمعت تلك المخاطبات يقظة من الصور الإنسانية وغيرها جهرّة، فتارةً يناطقها غيرها من الناس بما تفهم، والمناطق لها لا يعلم، كما أخبر المستيقظ العالم، إذا سأل فأجابه النائم. وتارةً يخاطبها المستيقظ لأمرٍ له عرض، فنفهم من خطابه ما لها فيه الغرض، كما نبّه على ضيعة العمر أرباب القلوب.

ثَلَاث:

يُنَادِي: ارحموا مَنْ رَأْسُ مَالِهِ يَذُوبُ، فاضطربوا وصاحوا وتباكوا وراحوا.
وتارة يخاطبها الطّفل الصّغير بخطاب العاقل الكبير، كما أخبر من عاهد ونكث، أن الطّفل أكذبه، وفي وجهه نفث، فكان يسأله عن ذلك ويلاعبه، والطّفل لا يلوي عليه ولا يقاربه.

وتارة يخاطبها بعض أولي العقول وهو غافل، فلا يدري ما يقول كما أخبر السّائل عقيب قول القائل، لماذا لفظت؟ وماذا أردت؟ فأجاب: تالّه إني غيّبت الآن عني، فلم أعلم أنني نطقت، حتّى أذكرتني ذلك فأفقت، لكّني لا أعلم بحالي، ولم أدّر لماذا كان مقالتي.

وتارة يخاطبها العالم العارف، فيكون لها كالمُكاشف.

وتارة تتخلّى عن الظواهر، فتتجلّى في السّرائر، فيشاهدها الرّجل الحاضر، ويكلّمها بها على الخاطر، وهذا هو نصيبها الوافر، وبحرها الرّآخر، وهي في سائر هذه الأحوال المذكورة، والأقوال المسطورة، تناجي إيّاها وتناطقها في سواها، وذلك من أعجب العجائب، أن يكون المجيب هو المُجاب وهاهنا ظنّ أن الملحد هو الموحّد، ولَمَّا لم يَر شيئاً سواه، وأعماه هواه، وظنّ أنّه الله، فأبطل فضيلة الإنسان والقرآن، وحجّة الرّحمٰن، فنسب القبائح كلّها إليه، وأحال فعل الطّاعات عليه، فلزمه أن يكون الباري تعالى محتاجاً إلى المخلوقات، لأنّها مظاهره في استحالة دائمة،

يخلع صورة ويلبس أخرى، ولو فكّر هذا البشر فيما له خطر، لعلم أنّ هذا أيضاً موطن من مواطن النفس، أداه إليه النّظر، فتنحى حيثنّذ عن الخطر. وما غلق عنه باب الصّواب، إلّا لعدم فهم الكتاب، فظنّ أنّه وصل إلى التّوحيد، فأطلق نفسه فيما يريد، وكلّما قاده هواه، قال: هذا مراد الله، وهل من فاعل سواه، فأصبح عطلاً أعوجاً لا يستوي، وغفلاً جاهلاً لا يرعوي، واعتقد أنّ الجميع من باب القسميّات والمواهب، فترك المكاسب، وخرج عن الواجب. وله بعد هذا المقام غلطات وأوهام. ولقد أعذر من أنذر، بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

نبأ عجيب ووعظ غريب:

المحصور في سجن رغباته، إذا مات في السّجن، سُجِنَ فيها بعد الموت أبداً بصورة العطشان الذي كلّما عطش شرب، وكلّما شرب عطش، فاستمرّ أبداً في سجنه سرمداً، وإنّما كان في الآخرة كذلك لأنّه إنّما كان في الدّنيا قد يثنيه عن استمرار تناوله من تلك الشّهور ضعف للآلة، كمن توجهه أسنانه من المضغ من وجود الشّهوة، فلو فرضنا أنّ الآلة لا تكلّ لما تصور الثّزوع، فكيف والآلة تزداد قوّة وضعفاً، فالقاطعون الشّهوات في الدّنيا يستمرون في الآخرة بمثل هذه الآلة لا تكلّ. فهم الخارجون من كلّ سجن، والدّاخلون في كلّ أمن، فهذا حالهم أبداً، ولهم ملكة التّرقّي سرمداً.

فيا من جعل قلبه بيتاً لشيّاطين شهواته، فهو يمدّهم بما يطلبونه منه، حتّى متى تعبد الجنّ، ومتى تخرج من السّجن.

[السريع]

شعر:

السّجنُ سجنُ الشّهواتِ التي	قد أوقعت في الهَمِّ والحَزَنِ
فكلُّ من يخرج من سجنِها	يخرج لا شك من السّجنِ
والجنّ محجوبون فينا لهم	أغذية في الخوف والأمن
من شهواتِ النفسِ ذاتِ الهوى	فقل لمن يفهم ما أغني
من كان موقوفاً على شهوة	فذاك عندي عابد الجنّ

وخلق الله العالم، وشرع ترك الشّهوات، وترك الوقوف مع الجسمانيّات إلّا ما لا بدّ منه، وهو الطّريق الموصول إلى الغرض باللّذيد لا عين اللّذيد، فمن قويت نفسه

هاهنا على ترك المنهي عنه كله، قويت هناك على ترك مثله، فقطعت فسارت، وهذا السبب هو جنة النفس والواقفات جناتها الشهوات التي وقفت معها، فمن لم يحتجب هاهنا لم يحتجب في الآخرة: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقد بان لك أن النفس تكون مترقبة أبداً، إذ مطلوبها ليس له آخر، وأن الشهوات حجاب، وظهر سر من أسرار الشريعة.

غاية ما في الباب لمن عنده علم الكتاب:

صفتك الحقيقية هي التي أمرت بها، وهي ما أراد بك لك، وسماه له كرماء عليك، وذلك هو المثبوت في كتابه إليك، بحسب الكتاب، لا بحسب فهمك من الخطاب، وإلى هذا يُشار بقول القائل: لله وبالله فافهم، والله أكبر، فمتى قمت به في حال من أقوال أو أفعال، ولم يبق شيء من هواك، لم يبق إلا إياك، وهذا غاية منك، ومتى عدت إليك، فقد رجعت عنك الذي هو به، وكذلك فانظر في الكل مثاله:

مُخاطَبُ خَاطَبٍ غَيْرِهِ بِحُكْمِ الْكِتَابِ، فَقَامَتِ حَقِيقَةُ الْمُخَاطَبِ فِي ذَاتِ الْمُخَاطَبِ صُورَةً تَعْطِي وَلَا تُخْطِئُ، فَمَتَى مَالِ الْمُخَاطَبِ ذَرَّةٌ عَنْ حَقِيقَةِ إِيَّاهُ، تَغَيَّرَتْ فِيهِ حَقِيقَةُ سِوَاهُ، فَظَهَرَ مَنْحَرَفًا عَنِ الْكِتَابِ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ فِي الْجَوَابِ، فَحَصَلَ الْخِلَافُ وَالْجِدَلُ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، لِتَغْيِيرِ الْحَقِيقَتَيْنِ الْمَطْلُوبَتَيْنِ مِنَ الْاِثْنَيْنِ، الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْمُتَخَاطِبَيْنِ. فَانْحِرَافُ الثَّانِي لِانْحِرَافِ الْمَقْدَمِ، فَإِنْ تَكَافَا فِي الانْحِرَافِ سَقَطَ الْإِنْصَافُ، وَالَّذِي تَرَكَ هَوَاهُ عَادَ إِلَى إِيَّاهُ، فَارْتَفَعَ الْخِلَافُ بِالْخِلَافِ، وَتَلَاَفَى غَيْرُهُ فَأَنْقَذَهُ مِنَ التَّلَافِ، وَأَدْنَى الْغَضَبِ خُرُوجُ عَنِ الْأَدَبِ، وَالْخُرُوجُ عَنِ الْأَدَبِ سَبِيلٌ إِلَى الْعُطْبِ، وَعَلَامَةُ الْوَسْوَاسِ تَغْيِيرُ الْأَنْفَاسِ. وَغَضُّ الْأَصْوَاتِ فَرَضٌ فِي الْمُنَاجَاةِ، وَكَمَا أَنَّ رَفْعَ الْأَصْوَاتِ يَمْنَعُ الْأُذْنَ مِنَ السَّمَاعِ الظَّاهِرِ، فَكَذَلِكَ يَمْنَعُ الْقَلْبَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْبَاطِنِ، وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ فِي الْبَاطِنِ هِيَ الْعُقُولُ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

بيان:

الإنسان مُنطَوٍ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلْيَتَفَقَّدْ أَفْعَالَهُ دَائِمًا وَنَسْبَهَا، فَمَهْمَا اسْتَمَرَّ عَلَى فَعْلٍ، وَرَضِيَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ صَاحِبِ ذَلِكَ الْفَعْلِ، كَالشَّهْوَةِ لِلْخَنْزِيرِ، وَالْفُسَادِ لِلشَّيْطَانِ، وَالتَّسْبِيحِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصاص: ١٥].

موعظة وتعليم:

يا من ابتلي بكل ما لديه، فطولب بالصبر في حاله، وكلما عجز عن حمل
حملة زاد عليه بطلب الباقي بالإيماء إليه، ويتمسك بالفاني بكلتا يديه، وإذا دُعي
تصامم، وإذا بصر غمض عينيه.

شعر:

[السريع]

مُكُنْتُ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ عَجِيبٍ قَالَ لَكَ اللَّهُ: ادْعُ إِنِّي أَسْتَجِيبُ
وَصَفَكَ تُجْزَى كُنْ كَمَا تُرْتَضَى غَيْرُ أَغْيَرُ، ادْنُ إِنِّي قَرِيبُ
لَكَ اخْتِيَارٌ ثُمَّ لِي قُدْرَةٌ مُحَدَّثَةٌ عِنْدَكَ مِنْهَا نَصِيبُ
وَمَنْزِلِي فِيهِ شِفَاءُ الْوَرَى وَالْعَقْلُ يَهْدِيكَ كَالطَّبِيبِ

بيان:

[الكامل]

فِيكَ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ وَالْكُلُّ نَحْوُكَ مُسْتَكِينٌ قَانِتٌ
وَلَأَجْلِ كَوْنِكَ كَانَ كُلُّ مُكُونٍ وَالْحَيُّ أَنْتَ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَائِتٌ
وَالْجَنُّ فِيكَ مَقَامُهُمْ وَقِيَامُهُمْ وَكَذَا الْمَلَائِكُ نَاطِقٌ أَوْ صَامِتٌ
فَإِذَا غَفِلْتَ فَعَالِمٌ مُتَبَايِنٌ وَإِذَا عَقَلْتَ فَمَا هُنَاكَ تَفَاوُتٌ
وَتَغَايُرُ الرَّأْيِ يُرِيكَ تَغَايُرَ الـ مَرءٍ وَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ثَابِتٌ

زيادة نظم:

[الرجز]

فِي رُوحِكَ الْأَرْوَاحُ وَالْعَوَالِمُ أَلَا تَرَى ذَاكَ وَأَنْتَ نَائِمٌ
فَفِيكَ كُلُّ حَاضِرٍ فِي غَيْبَةٍ وَالْكُلُّ أَنْتَ عَالِمٌ وَعَالِمٌ

جهل:

[البسيط]

لَمَّا عَدَّتْ جُمْلَةُ الْأَفْعَالِ عَائِدُهَا عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ أَنْتَ فَاعِلُهُ
ظَنَنْتَ إِذْ أَنْتَ مَعْبُودٌ لِدَاتِكَ أَنْ نَ الْلَّهُ أَنْتَ، فَأَنْتَ الْآنَ جَاهِلُهُ

إيضاح:

[الطويل]

وَمُخْجَوِبَةٌ فِيهَا الْمَلَا حَاتٌ كُلُّهَا وَقَدْ زَارَ وَهْنًا طَيْفُهَا فِي دُجَى الْحُجُبِ
لَهَا الْحُسْنُ سِرْبَالٌ وَمَعْنَى جَمَالِهَا تَجَلَّى مِنَ الْمَعْشُوقِ لِلْعَاشِقِ الصَّبُّ
حَكَتْ كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ كُلُّهُ حَكَاهَا فَأَضْحَتْ لِلدَّوَائِرِ كَالْقُطْبِ

مظاهرها حُجِبَ لها ولغيرها
إذا قَطَعَتْ سُبُلَ المَظَاهِرِ وانثنت
أشاهدها في مَسْمَعِي وَبِنَاطِرِي
بَدَتْ ذَاتُهَا تُجَلَّى لَهَا أَحَدِيَّة
لهذا تَرَقَّتْ في المَظَاهِرِ واختفت
ومن سُوْسِهَا ضِدَانٍ في واحدٍ له
فَعَاشِقَةٌ مَعشوقَةٌ ذَاتُهَا لَهَا
هي العَبْدُ عَبْدُ اللَّهِ جَبْرِيلُ عَالِمٌ
إذا عَدِمْتَنِي كُنْتُ مَعْنَى وُجُودِهَا

هُدَى فَتْرِيهِ البُعْدُ في غَايَةِ القُرْبِ
إلى ذاتها بالصَّدْقِ في مَوْطِنِ الحُبِّ
وفي سِرِّ سِرِّ الرُّوحِ مِنِّي وَمِنْ لُبِّي
تَحَرُّلُهَا ما في السَّمَوَاتِ والتُّرْبِ
وعَادَتْ بِأَنْوَاعِ العَجَائِبِ والعُجْبِ
يقولُ، وعنه القولُ في العُذْرِ والعُثْبِ
مُحِبٌّ وَمَحْبُوبٌ على البُعْدِ والقُرْبِ
أُخَاطِبُهَا غَيْرِي وَأُعْنِي بِهَا قَلْبِي
وإن لَمْ أَكُنْهَا قَدْ رَجِعْتُ بِلا رَبِّ

إيضاح:

النفس حقيقة تنمو كُلَّ آن، فهي غيرها لتغيرها مع الأحيان، ولها تصوّر ويمثّل ما يكون، ويحفظ ما كان ودوام سير الفلك يعطي أن لا وقفة للزّمان، فإذا تصوّرت ذاتها في الماضي والآتي من الأزمان، وإن كانت واحدة فالمخاطب والمخاطبُ اثنان.

شعر:

[الطويل]

هي النفسُ تَنمو دَائِماً وتُموُّها
زيادتها في أَمْسٍ دَلَّتْ حَقِيقَةً
فَنُقْصَانُهَا بِالذَّاتِ أَصْبَحَ شَاهِداً
دَلِيلُ حُدُوثِ العَالَمِ المتجدِّدِ
على أنَّها في اليومِ أَتَقَصُّ مِن غَدِ
لِرَبِّ بَرَاهَا بِالْكَمَالِ المؤبِّدِ

تنبيه:

اعلم إنَّما ترى الأشياء بحسب نظرك، فيقال: إنَّكَ الرَّائِي والمرئي، وليس لاتحاد الحقيقتين. واعلم أنَّ المرئيات كلّها لها اعتباران، أحدهما من جهة الرَّائِي، والآخر من جهة المرئي في ذاته، فالمرئي في ذاته له حقيقة غير حقيقته الحاصلة له وصفاً من حيث الرَّائِي، فمن قطع إِيَّاه رأى الأشياء على حقائقها من جهة ذواتها، لا بحسب نظره. وهذا محلّ نظر الأنبياء عليهم السّلام، وأمّا غيرهم من سائر الخلق فإنَّما يرى ما يراه باطناً وظاهراً، نوماً ويقظةً، بحسب نظره لا بحسب المرئي في ذاته، فدرجة العوام رؤية الواحد كثيراً، ودرجة الخواصّ رؤية الكثير واحداً، وأعني بالخواصّ هاهنا المنفردين عن الأنبياء، وكلاهما مَرَضٌ، إذ يعرض للبصيرة ما يعرض

للبصر، كما يعرض من تغير المرئي لتغير لون الجليدية، فتارة يتغير المتغير ألواناً، والمرئي واحد في لونه، وهو مثال درجة العوام، وتارة يثبت التغير على لون واحد، فيثبت المرئي ضرورة، وهو مثال درجة الخواص، ومن هاهنا قالوا: إنَّ الكلَّ واحد، وقد علمت أنه من تغير لون جليدية عينه إلى الصفرة، فشاهد الأصفر أصفر، لا يُقال: إنه صحيح النظر لكونه وافق لون المنظور إليه في ذاته، لون الناظر في صفاته إلا عند غير الحكيم المعتبر، فقد علمت أنَّ مرض أرباب الدرجتين، وهو من قبيل واحد، وهو فساد النظر، ولا صحة إلا مع الأنبياء عليهم السلام، وأتباعهم الذين تركوا أهواءهم، إذ نظروا إلى اختلاف الأشياء في ذاتها، وهو الاختلاف الذاتي للمنظور، لا الاختلاف العرضي للناظر، ورأوا للجميع فاطراً واحداً، ولم يروا الكلَّ واحداً، بل عن واحد، ولهذا قال: ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، واكتفى ذكرهما عن ذكر ما فيهما.

واعلم أنَّ درجة العوام أشبه بدرجة الأنبياء من درجة الخواص بزعمهم وإن كانوا خواصاً بالنسبة إلى العوام، فلاختصاصهم بمرض واحد دون أمراض شتى.

صفتان:

رُبَّ عابد هواه رأى خياله في المرأة وحسبه إياه، فترك ما عداه ولم يتعداه، ظناً منه أنَّ ذاته مولاه، إذ لم ير شيئاً سواه، وقامت بشبهة شكوكه دعواه، فأعمته عن عماءه، فقال: أنا الله. وإذا نام هذا المصاب تقطعت به الأسباب، فكيف به عند الانتباه، يوم كشف الغطاء، وزوال الاشتباه.

ورُبَّ عابد بايع مولاه على ترك ما سواه، والرضا برضاه، ورأى الإيمان بالغيب أولى من كشف الحجاب، فقطع الأسباب، ولم يطرق الباب، ومن أراد غير الله، فقد عبد هواه. ومن أراد رضاه لم يعبد إلا إياه، وإقدام ذي الإقدام على المقام بهذا المقام، قامت على قمة الاصطبار، وعلت على متون الجنة والنار.

[الطويل]

نظم:

تَحَيَّنْتُ وَقْتاً إِذْ تَخَيَّرْتُ مَنْزِلاً
لَتَهْيِئَةِ الْمَصْبَاحِ وَالزَّيْتِ أَوَّلَا
وَبَالَغْتُ فِي حُجْبِ الْهَوَاءِ مُحَدَّقاً
إِلَيْهِ زَمَاناً مَا بِصِدْقٍ فَأَشْغَلَا

تعريف وتوقيف:

إنَّ من كشف له من الجمال لمحة الخيال، جدير به أن يهيم طرباً، ويتقطع إرباً، ولعلَّ لو تبرقع بالأكوان، وتمزق في كلِّ آن، كما وفي حقِّ لمحبة، ولا عني

بقدر نشأته، وهذا حجب بكشفه، فوقف لضعفه ينحت له من ذاته آلهة دون الله، أو يتخذ منعه إلهاً سواه، لأنه يشهد بقدر ذاته، ويرى بمقدار مرآته، والذي تحقق قصده تقدم وحده، فهو الصَّبار السَّيَّار من وراء الأستار، في غيب الأسرار، لا يختار إلا أن يختار حتى يطلع النهار، وتستقر به الدَّار.

[الطويل]

نظم:

أُحِبُّكَ وَالْأَسْتَارُ تَحْجُبُ بَيْنَنَا فكم مرّة عَنِّي تَسْتُرْتُ بِالْكَشْفِ
وَلَمْ أَرْ غَيْرِي فِي الْمَظَاهِرِ كُلِّهَا فَلَمْ أَرْضَنِي لِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ضَعْفِي
وَإِنَّكَ فَوْقَ الْفَوْقِ مِنْ كُلِّ نَاطِرٍ فَدُونَكَ مَا أَبْدِيهِ عَنْكَ وَمَا أُخْفِي

تنبيه ووصية:

اعلم أن الله تعالى جبل في جبلّة الإنسان سائر الأشياء، فمن ذلك ما يستخرجه الإنسان من ذاته بالفكر والتَّعَقُّل، والتَّصَوُّر، والاستنباط. ومنه ما يُلقَى إليه وحيًا من ذاته، إمّا بأمثال، وإمّا على صورته، وذلك إمّا نومًا وهو عند ركود الحواس وقطع العلائق والعوائق الطَّبِيعِيَّة، وإمّا يقظة متى أدته الرِّياضة، إلى مثل ذلك بعينه، والفرق بين الأنبياء وغيرهم، أن الأنبياء يوحى إليهم من ربِّهم، وغيرهم من أنفسهم، أعني بقدر استحقاقها، يُفاض عليهم بحسب القابليّة لا القدرة، ولهذا عمّ نفع الأنبياء، فغير النبي إذا صفت ذاته، وأدركت شيئاً من الحقِّ الصحيح، كان ذلك الإدراك من قبل إياها بوجه، ومن قبل ربِّها بوجه آخر، والمدرّك واحد لا يتغيّر.

كما أن العبد ملك لزيد، وهو بعينه ملك لله تعالى، ولا شركة، فالمركوز في جبلّة النَّفْس ثابت فيها من حيث الخلقة، وهو مستور عنها بعوائق الحواس الباطنة والظاهرة، وقد جعل الله لظهور ما فيها شروطاً عائدها تارة إلى العبد بإرادته، وتارة بغير إرادته كما في النُّوم، ويرجع إلى كسب، أو هبة، فإذا قيل: علم زيد كيت وكيت، فهو علم من جهة نفسه، وهو بعينه من جهة ربِّه، فما كان بغير إرادته فهو إمّا هبة، ولا يكون إلا حقًّا، كما يكون للأنبياء، وإمّا جزاء ويكون حقًّا وباطلاً، فما تعلق للعبد به، فلا حاجة إلى ذكره، إذ لا يُجْزَى إلا بكسبه. وكلّ ما هو راجع إلى العبد، فإنما هو من نفسه لنفسه، وكلّ ذلك دون رتبة الأنبياء عليهم السَّلام، ومن طالع ذاته مستقرًّا، رأى ما لا عين رأت مخلوقاً بها حاضراً مجبُولاً في جبلّتها. ومن تحقق أن ذاته مأوى الكلّ من الماضي والمستقبل، فإنه لا يحزن على شيء من الفاتت عند مفارقتها له، إذ هو وغيره موجود معه فعاد غنيًّا بذاته، وهذا علامة الدَّائق دون العالم

فقط، وهذا الذائق إذا تحقّق أنّ ذاته محدثة، وإنّ المحدث لا يدرك محدثه بوجه أنف من نفسه لنفسه، إذ كلّ ما وصل إليه إنّما هو منه فهو محدث مثله، فلم يرض لنفسه بنفسه فضلاً عما يرد عليه منها فقام ينفي علومه، وينكر معارفه، ورجع عن الغنى المطلق إلى الفقر المحقّق، فاتّبع الأنبياء، وعبد، فلزمه القيام بالشيعة فسجد.

[الكامل]

شعر:

مَرَّتْ لَوِيْلَاتُ بَتْلَكَ الْأَرْبَعِ بَيْنَ النَّقَا وَالْمُنْحَى وَلَغَلَعِ
أَطُوفُ لَيْلِي وَنَهَارِي هَائِمًا مَا بَيْنَ بَانَاتِ اللَّوَى وَالْأَجْرَعِ
حَتَّى سَمِعْتُ فِي الْجَمَى مُنَادِيًا كَانَ بِهِ قَلْبِي يُنَاجِي مَسْمَعِي
فَعُدْتُ مِنْ بَيْنِ الطُّلُولِ مُغْلِنًا أَنَّ الَّذِي أَطْلُبُ مِنْ غَيْرِي مَعِي
ثُمَّ انْتَنَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَاهِدًا فِي لَأَنِّي مُبْدِعٌ لِمُبْدِعِي

[المجث]

نظم:

خَرَجْتُ مِنْ خَضِرِ حَبْسِي مِنْ حِينَ فَارَقْتُ حِسِّي
فَكُنْتُ أَهْ هَهُذَا ذَاتِي فِي كُلِّ جِنِّ وَإِنْسِي
حَتَّى بَدَا لِي جِجَابٌ فَلَاحَ لِي كَشْفُ لَبْسِي
فَعُدْتُ أَنْفَرُ مَنِّي مِنْ بَعْدِ بِي كَانَ أُنْسِي
فَصِرْتُ أَنْفِي عُلُومِي عَنِّي وَأُنْكَرُ حَذْسِي
رَجِغْتُ عَبْدًا وَلَكِنْ قَدْ كُنْتُ رَبًّا وَبَسِّي
فَغَايَةُ الْكَوْنِ كَوْنِي فِي الْكَوْنِ أَعْرِفُ نَفْسِي
وَلَا أَرَى لِي غُلُوبًا إِلَّا الدُّنُورَ لِرَمْسِي

[الوافر]

رضا:

وَلَمَّا أَنَّ جَفَانِي بَغْدَ وَضِلِ وَبَاعَدَ كُلَّ مَحْبُوبٍ قَرِيبِ
رَضِيْتُ رِضَاهُ حَتَّى عَادَ بَعْدِي لِمَنْزِلَةِ الْوِصَالِ مِنَ الْحَبِيبِ
فَصَارَ نَصِيبُهُ مِنِّي رِضَاهُ وَصَارَ الْبُغْدُ مِنْهُ لِي نَصِيبِي

[الكامل]

نظم:

لَذَّ الْبَلَاءُ لَهُ إِلَى أَنْ ذَاقَهُ مَنَحَ النُّعِيمَ أَتَى بِغَيْرِ حِسَابِ

مثله:

[الخفيف]

كَيْفَ أَشْكُو ضَرَاءَ تَفْنَى وَبِالضُّبِّ
كُلَّمَا ازْدَدْتُ مِنْ شَقَاءٍ شَقَاءٍ
رِ عَلَيْهِا أَغْدُو لَدَيْكَ كَرِيمَا
زُدْتُ فِي حَالَةِ النَّعِيمِ نَعِيمَا

مثله في المعنى:

[مواليا]

أَلْقَيْتَنِي فِي بَحَارِ الْخَوْفِ وَالْهَجْرَانِ
زِدْنِي إِلَيْكَ صَبَابَاتٍ مَعَ الْأَحْيَانِ
وَحْدِي وَمَنْكَ بِلَاثِي غَايَةُ الْإِحْسَانِ
وَلَا أَقُولُ أَقْلَنِي كَانَ مَهْمَا كَانَ

ذوق:

العاشق اشترى رضا معشوقه بكلّ الأشياء، فمن الأشياء ما يملكه، ومنها ما لا يملكه. فأما ما يملكه بذله بطيبة نفس بين يديه، وأما ما لا يملكه فإنه لم يحزن عليه، وكيف يحزن المشتري على ما بذل في بضاعته، وهو أربح الرابحين في تجارته، فمهما خطر في السرّ والعلن، قال: وهذا من جملة الثمن، وعلامة صدق هذه الدعوى عدم الشكوى:

[الوافر]

وَلَيْسَ الْغَدْرُ مِنْ شِيمِ الْكَرَامِ
﴿ وَمَنْ أَوْفَ يَعْهَدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ وَذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة: ١١١].

فطرة:

لَمَّا كَانَ الطُّفْلُ لَا يَعْرِفُ عِنْدَ الْوَلَادَةِ شَيْئًا كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِذَا وَصَلَ الْكَبِيرُ
إِلَى حَدٍّ أَنْ لَا يَعْرِفَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ عَادَ إِلَى الْفِطْرَةِ.

نجرید:

نظم فيه:

[السريع]

تُبْ هَارِباً مِنْ كُلِّ مُؤْذٍ فَمَا
يُؤْذِيكَ إِلَّا كُلُّ مَا تَعْرِفُ
وَفَارِقِ الْمَحْبُوبَ مِنْ كُلِّ مَا
يُوصَفُ فَالْمَحْبُوبُ لَا يُوصَفُ

[مجزوء الكامل المرقل]

يَا جَاذِبِي عَنِّي إِلَيْنِ—
أَنْتَ الْحَجَابُ عَنِ الْحَجَا

[البسيط]

أَنْفَاسٍ مُخْتَجِبَةً فِي سَائِرِ الصُّورِ
خَاطَرْتُ إِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِي عَلَى خَطَرِ
إِتْيَايَ غَيْرِي فَلِإِنِّي فَاسِدُ النَّظَرِ
بَصِيرَتِي عَيْنَ مَا شَاهَدْتُ بِالْبَصَرِ
فَهَاكَ يَا أَنَا لُغْزِي وَادِرِ مَا خَبَرِي

مثل هذا يقول العبد العارف، وهو صادق، ومثله يقول الغالط، فيقال له:

[البسيط]

عَرَفَانِ ثَمَّ انْتَنَى مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ
فَظُلٌّ يَهْدُرُ فِي التَّوْحِيدِ بِالْقَدَرِ
إِلَّا التَّيْبِيُّ وَمَنْ يَقْفُوهُ فِي الْأَثَرِ
بِالْجَهْلِ فَالْجَهْلُ هَادِي الْعَقْلَ بِالْفِكْرِ
بِهِ وَإِنْ ضَلَّ عَنْهُ سَائِرُ الْفِطْرِ
سِوَاكَ بِالْغَيْبِ إِيْمَانًا عَلَى حَذَرِ
بِالْكَسْبِ قَدْ جِئْتُ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ

[السريع]

مِنْ كُلِّ مُحْذَرٍ لَهُ الْأَنْزَلُ
حُزْنٌ فَلَا خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ

في المعنى:

يَا جَاذِبِي عَنِّي إِلَيْنِ—
أَنْتَ الْحَجَابُ عَنِ الْحَجَا

إشارة:

إِنِّي ظَهَرْتُ إِيَّايَ عَلَى عَدَدِ الْـ
وَالْكُلِّ غَيْرِي وَلَا غَيْرِي يُعَامِلُنِي
وَأَيْنَ غَيْرِي وَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ إِلَى
نَاجِيَتِ سِرِّي وَنَاجَانِي فَمَا شَهِدْتُ
وَالْأَمْرَ بِالْعَكْسِ أَيْضًا إِنْ فَطَنْتُ لَهُ

هَذَا نَهَايَةً مَن رَامَ النُّهَايَةَ فِي الْـ
فَظَنُّ لَا غَيْرَ إِذْ لَا غَيْرَ شَاهِدُهُ
وَالْحَقُّ مِنْ بَعْدُ فَوْقَ الْفَوْقِ لَمْ يَرَهُ
فَدَقَّقَ الْفِكْرَ يَأْتِ الْعَقْلُ مُعْتَرِفًا
إِنَّ الَّذِي فَطَرَ الْأَشْيَاءَ فَاعْتَرَفْتُ
فَانهَضُ وَسِرُّ عَنْكَ يَا مَنْ لَا سِوَاهُ إِلَى
فَالْكُلُّ مِنْكَ وَأَنْتَ الْعَبْدُ مُقْتَدِرًا

صاحب الوقت من صحبه:

مِنْ صَحْبِ الْوَقْتِ فَذَاكَ الَّذِي
فَالْخَوْفُ فِي الْمَاضِي وَفِيمَا مَضَى الْـ

في معناه:

الْحُزْنُ تَحْيِرُ الْقَلْبَ، وَشَغْلُهُ بِالْفِكْرِ، وَالتَّأْسَفُ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ الدُّنْيَا.

وقيل: هو شغل القلب وفكرته في ما يُخَافُ وَيُرْجَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ غَيْرِ أَوْ

فقر، وغير ذلك من الحوادث الطَّارِقةِ الْمَتَوَقَّعةِ.

وقيل: الحزن والهَمَّ بمعنى واحد، وقيل: الحزن على ما فات، والهَمَّ على ما هو آت.

معراج وغاية: [الخفيف]

إِنْ خَيْرَ الدَّارَيْنِ فِي الْفِكْرِ فَالْفِكْرُ رُؤْيَى كُلِّ غَايَةٍ مِعْرَاجُ
فَاحْرَسِ الْفِكْرَ ذَاكِرًا وَارْصِدِ الْمَطْلُوبَ تَظْفَرُ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُ

إِطْلَاع:

عُدْ إِلَى سِرِّكَ عِنْدَ حَدُوثِ الْحَادِثَاتِ مَتَخَلِّيًا عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ، مُقَابِلًا بِذَاتِكَ ذَاتَ الذَّاتِ، ثُمَّ قِفْ هُنَيْئَةً تَجِدُ هَيْئَةً تَدُلُّكَ عَلَى مَا سَيَكُونُ مِنَ الْكَائِنَاتِ.

عقل:

العقل الغريزي كالسُّرَّاجِ، والمكتسب كالذهن يمدّه.

مثال:

لو أَنَّ مُلْكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَاعَدَكَ أَنْ يَحْضُرَكَ لَدَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، لَكُنْتَ لَيْلَتِكَ لَا تَنَامُ، بَلْ تَهْجُرُ الْأَنَامَ، وَتَتَجَنَّبُ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ الطَّعَامِ، وَتَسْتَعِدُّ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ، وَبِكُلِّ حَالَةٍ تَبْلُغُكَ الْمَرَامَ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ آتِيكَ، وَبِكُلِّ حَالَةٍ يَنَادِيكَ، فَاجْعَلْ فِكْرَكَ فِيكَ، وَخُذْ مِمَّا تَحِبُّ مَا يَكْفِيكَ، فَإِنَّ الْمَلِكَ دَاعِيكَ، وَأَعْمَالِكَ تَلَاقِيكَ. فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَثَالَ، وَخُذْ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَاعْمَلْ لِلْمَالِ قَبْلَ أَنْ يَبْغِتَكَ قَاطِعُ الْأَمَالِ.

موعظة ووصية:

كُنْ فِي جِسَدِكَ كَمِيَّةً فِي قَبْرِهِ، لَا يُؤْنِسُهُ إِلَّا مَا عَمَلَهُ، وَلَا يُوحِشُهُ إِلَّا مَا قَدَّمَهُ، وَإِنَّمَا تَشَاهِدُ فِي رَمْسِكَ مَا تُشَاهِدُهُ الْآنَ فِي نَفْسِكَ، فَانْصَرِفْ بِفِكْرِكَ إِلَى مَا يُؤْنِسُكَ فِي قَبْرِكَ، فَإِنَّكَ وَحْدَكَ سَاكِنٌ لِحَدِّكَ، فَإِنْ اشْتَبَهَتْ عَلَيْكَ الْمَعَانِي فَاعْرِفْكَ بِمِيلِكَ إِلَى الْفَانِي، فَإِنَّمَا لَكَ مِنْ حَالِكَ مَا تَصْحَبُهُ بَعْدَ تَرْحَالِكَ.

معراج:

نظم: [مخلع البسيط]

يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ إِنِّي لَكَ النَّاصِحُ الْمَفِيدُ

دَغْ كُلُّ وَاذٍ تَهِيْمُ فِيهِ وَهَمُّ إِلَى مَا بِهِ الْمَزِيْدُ
فِيكَ مِثَالٌ يُرِيكَ مَا لَا تَرَى، وَنَحْوِ الْجَمَى يَقْوَدُ
كَأَنَّهُ قَالَ فِيكَ حَالًا يَكْفِيكَ مَا مِنْكَ تَسْتَفِيْدُ
مِعْرَاجُكَ الْفِكْرَ فَاصْنَعْ وَاضٍ عَذْفُهَا هُنَا الْوَجْدُ وَالْوَجُودُ
مِنْ هَاهُنَا عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ مَا تُرِيدُ

قيل لمن أكل حشيشة الفقراء: من أمّ مرامه بالوسائط، من المركبات والبسائط فقد أخطأ الصواب، ودخل من غير الباب، ومن كانت غايته جلاء مرآته، وتكميل ذاته، فهو الاسم والطلسم في الحال والمآل، وهو صاحب الأقوال والأفعال، البالغ غاية الآمال.

محدود وغير محدود:

للعقول حدٌ تقف عنده من حيث هي مفكرة، لا من حيث هي قابلة، وليس لها حدٌ من جهة القبول، إلا ما هو فوق طور العقول.

موت:

[السريع]

قَدْ خِفْتُ مِنْ مَوْتِي عَلَى غَرَّةٍ فَلَمْ أَخَفْ إِلَّا مِنْ الْفَوْتِ
حَتَّى لَقَدْ أَوْقَفَنِي دَائِمًا خَوْفِي مِنَ الْمَوْتِ عَلَى الْمَوْتِ

بيان:

الذات تشهد ولا تعلم، فالعقل من جهة العلم دونها، والمعرفة بالسلب غير المعرفة بالإثبات، فلم يبق غير الإيمان بالغيب أو الشهادة كما تقدم، والشهادة لا تكون في هذه الدار.

غلطة الجبرية ظنوا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وما تشاؤون إلا ما يشاء الله، فافهم.

نظم:

[الرجز]

أَبْدَعَ مَخْلُوقَاتِهِ فَمِنْهُمْ خَلَّاتُ بَيْنَهُمُ الْخُلْفُ فَشَا
قَالُوا: لَهُ مَشِيئَةٌ سَابِقَةٌ فِينَا وَنَحْنُ مَا لَنَا أَنَا نَشَا
قُلْنَا: صَحِيحُ سَبَقَتْ مَشِيئَةٌ وَكُلُّ مَا نَشَاءُ فِيهِ يَشَا

فشاء ما شاء على ما شاءه وشاء أن يخلق مخلوقاً يشاء

تحقيق:

فما أنت به أنت هو، وهو بما هو به هو أنت، إلا أن إحدى الغايتين في الأخرى مدرجة مُدْمَجَة، من حاول تمييزها منها حاول عسيراً، ومن شعر بالوجد منها بقي حسيراً، وكلّ بشري نال هذه الحالة فقد برى ممّا كان به منقوصاً ورفي إلى ما صار به مخصوصاً.

ضلال:

القلوب بمنزلة الأرض، تنبت ألواناً من العقائد، والقرآن بمنزلة الماء يمدّ الكلّ، فافقه جيّداً.

في المثل:

إنما أنت ما ملّت إليه.

نبأ:

وكما أنه لا سبيل للجنين أن يدرك ما في هذا العالم، كذلك لا سبيل للمتعلّقين بالأجسام أن يدركوا ما في ذلك العالم، ولما غمض الأمر أُمِرْنَا بالإيمان بالغيب، وإذا كان التّرقّي مستمراً في الكلّ من عَدَمٍ إلى وجود، ونسبة الثاني إلى الثالث، كنسبة الأوّل إلى الثاني، فكيف يدرك المعدوم وجوده قبل أن يوجد فيه، وهل إلا ضُربُ المثل، فبهذا جاء الكتاب المنزل، والمراد من إبداع ما يفنى هو غاية تبقى، ومن رام أن يطلع على الغاية الباقية في الذاتية الفانية، فقد خرج عن الطّريق، إذ سِرُّ الدُّنيا يُعلم في الآخرة. فكيف يُعلم سِرُّ الآخرة في الدُّنيا. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السّجدة: ١٧] وليست السّعادة هي اللذات، بل اللذات تابعة للسّعادة، وإنّما السّعادة اللّقاء، وليس اللّقاء حقيقة المعرفة، بل أن تتلاقى في حقيقة الصّفة، ومن اتّصف فهو الذي عرف.

وصية:

اجعل دأبك احتمال الأثقال، وارتكاب الأهوال في كلّ آنٍ وحال، فمهما أنت كذلك، فأنت السّالك، ومتى جنحت إلى اللذات والرّاحات، والفتاوى والمسامحات، فأنت مستدرج لقوله تعالى: ﴿سَلَسَدِرْجُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٢].. الآية.

[الخفيف]

شعر:

خُلِقَتْ نَفْسُهُ لِحَمْلِ الْمَشَقِّ
وَإِذَا مَا خَلَا مِنَ الْهَمِّ فِي حَيَاةٍ
وَيَرَى الْمُتَعَبَاتِ فِيهَا مِنَ الرَّأْيِ
ذَا لِمَنْ رَامَ وَضَلَ مِثْلِكَ فِي
قَدْ رَأَى الصَّعْبَ فِي الْمَحَبَّةِ سَهْلًا
تَ فِيلْتَذَّ حِينَ مَا تَعْتَرِيهِ
نَ يَرَى أَنَّه بِلَا شَكِّ فِيهِ
حَاتٍ لِلْقَلْبِ كُلِّ مَا يَرْتَجِيهِ
دُنْيَاهُ يَا مُفْرَدًا بِغَيْرِ شَبِيهِ
وَأَمَرَ الْأَشْيَاءَ حُلُوءًا بِفِيهِ

فكر:

الفكر السيئال المبتدر هجماً في كلِّ وادٍ، هو جاسوس الفؤاد الآخذ لصاحبه إلى الإلحاد، وهذا هو الأولى بالجهاد من سائر الأضداد، فانفقه عن البلاد، واحذر منه الترداد، فإن عاد فقِفْ له بالمرصاد، حتى تبلغ منه المراد، وإن عجزت عن طرده، فاشغله وإلا شغلك، واقتله وإلا قتلك.

موعظة في وقفة:

كلُّ شيء يؤذيك فهو رحمة عليك، لأنه منبه من رقدة الجهالة والغفلة، ألم تر من رحمته العُجاب في لدغ البراغيث وقرص الذباب. فما نبه النَّائم هو أولى أن يتبه اليقظان، فكم هذه السُّنة بالانتباه، وطلب الهداية بالاشتباه، وكم هذا النسيان بما يذكر، والغنى بما يفقر، والصحة بما يُعَلِّ، والعز بما يذل، والزِّي بما يُظمي، والنَّظر بما يُعمي، اقلب النَّظر قبل أن ﴿يَنْقَلِبَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلْك: ٤].

إذا أُحببت الخروج من السُّجن، فقد أُحببت الدُّخول إليه، وإذا كرهت الموت، فقد كرهت الحياة، فيا عجباه من عقل مقلوب، يحبُّ المكروه، ويكره المحبوب.

موعظة:

يا هذا اخترط لك الحق لساناً لا يمرّ بصدع إلا شعبه، ولا يقرع باباً إلا فتحه، فأعمله في الدُّعاء، فما كلَّ وقت تحال على الماء والطَّين، وعليك بصحبة من تخف برؤيته عن العالم السُّفلي إلى المحلِّ العلوي، ويحلُّ بصحبته الحنظل الحولي، في قرآن تقرأه، وتعلم غريبه وإعراجه، وتأويله وتفصيله، ومُتشابهه وأمه، ولا تجد ذرة إلا تدلُّك على صفاء حالك، وإدراك كمالك، فعلمك لفظ، وعملك رفض، ووعظك خديعة، وعبادتك عناء، وكلِّك هباء، فما أسخاك بحياتك، وأقلَّ رحمتك لروحك،

فالرحيل عن هذه العرصة، التي قد تجرّعت فيها أنواع الغصة. أما بك حاجة إليك، أما لك شفقة عليك، إلى متى ما تعرف إياك، ولا تحنّ إلى مأواك. أما تدري إلى من تنتسب؟ أما تعي من هو أولك وآخرك؟ فكم هذا الإنس بالوحشة، والمقام بالغرابة؟ كم تكذب نفسك وتغضب إن كذبتك غيرك؟

كم تخالف العقل وأنت تحتجّ به على سواك؟ كم تغرّ بهواك؟ كم تذلل شهوتك؟ هل لك خبر عنك فيما أريد بك يا مسلوب الإخلاص في العبادة؟ يا قليل النشاط في اقتفاء أثر السادة؟ إنّما عمرك يوم لم تعص الله فيه، إنّما مطالبك معاطبك، ومألفك متالفك، فقم للطبيعة عاصياً مجيباً مستجيباً داعياً: إلهي حلّ بيني وبين ما يحول بيني وبينك، وأعدني إليّ، وأعدني منّي وأعني عليّ.

وصية:

يجب أن تكون تغذية البدن كعلف الدابة، إنّما تطعمها لتحملك، ولا لتقضي شهوتها.

تحذير:

النفس خزانة إبليس فيها سائر أمتعه.

في الموت:

يا هذا اخطر ببالك كأنك تشاهد ذاتك مجرّدة خالصة في أمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر يليه، وقوة لا ضعف يخالجه، وقدرة لا عجز يمازجها، وعزّ لا ذلّ معه، وبقاء لا موت يقطعه، وكمال لا نقص يعيبه، وجمال لا شين يشوبه، في ساحة لا أفق لها، وراحة لا نصب بها، وهي ملتذّة بذاتها لذاتها، تنظر بنور لازم، وسرور دائم، وعلم مستقرّ، وشهود مستمرّ، ونعيم مقيم، وأمر عظيم. فكيف ترضى بعد هذا المقام في دار الآلام، وتقنع بظلّ زائل، ولهو عاجل، وتستلذّ سُمّاً قاتلاً في عيش باطل، مع صحبة الأموات، والتقيّد بالفانيات، وعشرة الأضداد، والانهماك في الفساد، فعُدّ عن هواك وأو إلى إياك، فما غيرك يرضيك، ولا فرصة لك إلا فيك.

نبأ:

ذاتك فيك غيبّ عنك، وذاته منك غيبّ فيك، فهو معك أينما كنت، وبرهانه عليك عجزك عنك، فإن لم تشهدك السرائر، فاشهد بها بالتواظر.

[الطويل]

نظم فيه :

فَدَاتُكَ غَيْبٌ فِيكَ وَالْحَقُّ غَيْبُهَا وتأثيرُ غيبِ الغيبِ في الغيبِ ظاهرُ
فإن لم ترَ التأثيرَ بالغيبِ باطناً فبُزْهائُهُ ما أشهدتُكَ التَّوَاطُرُ
وإدراكُ غيبِ فيك ليسَ بمُمكنٍ وأنتَ معَ الأهواءِ والجسمِ حاضِرُ

تشبيه :

إذا كان الذكر بنعمةٍ لذيذةٍ، فله في النَّفسِ أثرٌ، كما للصُّورةِ الحسنةِ في النَّظرِ.

حكاية :

قال بعضهم : حُبِسْتُ مرّةً بصورة من البُهتان، فدخلت السَّجنَ، وقوتي وحالي عليّ، فكنت أدعو فأجاب، وأتصرّف فيما أختار على عادتي وأنسي خارج السَّجنِ باطناً وظاهراً. فلما أردت الخروجَ أخرجتُ، ولم أعلم أنّي كنت مفتوناً بذلك كله، ثم حُبِسْتُ بعد ذلك بسنين مرّةً ثانية بمثل ذلك بعينه فلم أجد لي حالاً ولا وقفاً ولا قلباً، بل أفلسْتُ من كلّ ما كنت أعرفه من قوتي وحالي، فنظرت إلى ما كان من كسبي فعلمت أنّه قد ران على قلبي، وعلمت أنّ حالي في الحبسِ الأوّل كانت فتنةً وحجاباً، مازجه لطف لضعفي أولاً عن حمل ما حملته، ثانياً: لأنني في الثاني رأيت أنه حبس معي أعمالي وآمالي، والتفكّر في حالي ومالي، فاجتمع عليّ همّي بقدر تقسّم فكري، وعزّ عليّ صبري حتى بقيت في سجن باطن، قاسيت منه ساعة أحسبها من النار الموقدة، ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْدَةِ ۖ﴾ [الهمزة: ٧]، فلم أجد إلا أن حملت على قلبي وسقاً من ذنبي، وتوجّهت به إلى عفو ربّي، فتلقّيتني من كرمه سبحانه رحمة قبل الوصول، اطمأنت بها نفسي، وقوي قلبي، كان ذلك ليلاً، فأصبحت وقد فرّج عني من الحبس الظاهر إلى حبس أنا فيه أزوح من الأوّل، حتّى كآني لم أبق فيه محبوساً، ثم ألهمت ألا أخرج بأفكاري، حيث اختياري، لئلا أكون مخالفاً، وكذلك لا أتوهم الخلاص، ولا أفكر فيه، ولا في أسبابه، وأن أقف مع الوقت ظاهراً وباطناً، وأن لا أكتب فيه بأفكاري ولا بأقوالي ولا بأفعالي إلا ما أحب أن أقرأه، فلما لزمّت هذه الحالة، ورأيت السَّجنَ معيماً عليها، كنت أخاف أن لا أخرج قبل أن تصير لي ملكة، فعاد المرهوب منه مرغوباً فيه.

معرفة :

رأس المعرفة حفظ حالك التي لا تقسمك.

شكر:

رؤية النعم بنفس التَّقم، شاغل بالشُّكر عن الصُّبر، فالعالم رأى العدل في العسر الذي وقع فيه، ومعه اليُسْر، فضلاً عن باريه، فاشتغل بالشُّكر على اليُسْر فضلاً عن النَّظَر إلى الصُّبر على العُسْر عدلاً.

واعلم أنَّ الصُّبر صبران، أحسنهما صبرك على ما ترجو عاقبته، والحلم حلما: أشرفهما حلمك عمَّن حزت رتبته، والصدِّق صدقان: أصحهما صدقك فيما خفت مغيبته، والوفاء وفآن: أسناها وفاؤك لمن لا ترجو منفعتَه، ولا تخشى جريرته.

وقال:

[السريع]

فالصُّبر في منزلةٍ فوقها رُتَبَةُ عَبْدٍ مُبتلى شاكرٍ

وقال أيضاً، نظم في اليُسْر:

[السريع]

شغلت بالشُّكر عن الصُّبر
والعُسْر عدلٌ من إلهي لما
والْيُسْرُ قُضِلَ منه سُبحائه
ومَن رأى في العُسْرِ إصلاحه
لرؤية اليُسْر مع العُسْر
قدَّمْتُ من مَعْصية الأمرِ
قابله العالمُ بالشُّكرِ
فشكَّره في العُسْر كاليُسْرِ

نظير:

[البسيط]

أنتَ الغيورُ على قلبي تُقلِّبه
جَعَلْتُ غيرَكَ في قلبي لأَجعله
وأنتَ أقربُ منه فاطلعتَ على
نَزَعْتُ كلَّ حبيبٍ فيكَ نازعني
وقلْتُ بالحالِ وَضلي في مقاطعةِ الـ
ومَن رأى بعده عن كُلِّ واسطةٍ
كما تَشاء وهذا مُنيتي أبداً
وسيلةٌ لي إلى حبِّك مجتهدا
قضدي فساعدتَ قلبي نحو ما قصدا
فيه فلمْ تُبقِ فيه منهم أحداً
جميعِ والروحُ أيضاً تهجرُ الجَسداً
قرباً إليك ففي فَقْدانه وَجداً

غيره:

[مجزوء الرجز]

يا واصلِ بِقُطْعِهِ
فَرَّقْتَنِي عَنِّي وَأَنْـ
جَعَلْتَنِي أَحَدُوَّةً
يا قَاطِعي عَن قَاطِعي
تَ بالفِراقِ جَامِعي
في سَمْعِ كُلِّ سامِعٍ

إِنْ ذَاغَ سِرِّي بَيْنَهُمْ سِرُّكَ غَيْرُ ذَائِعِ
فَحُبُّهُ وَدِيْعَتِي وَذِكْرُهُ وَذَايْعِي

عمل يحذر:

إذا رأيت من قطع العلائق، وخلا من العوائق، وأصلح العقائد، وحصل الفوائد، وقهر العواید، وهو قوي النفس، غزير العقل، صحيح الدين، ثابت اليقين، وأحببت أن تزيده لتفيده، فتوجه مدة إليه، ثم بعد ذلك جله عليه، واحذر أن تدخل في هذا بهواك، فإنك لا تقدر على شيء من منك، بل ربما أهلكك أخاك، وإن كان صادقاً في ذاته هلك بنجاته، فاحذر جيداً أول الاعداد أن تريه ما فيه، من أنه يقدر أن يستحضر المعلوم نظراً بخاطره، وسمعاً بقلبه، كما قد يغمض عينيه، ويستحضر صورة والده، أو صورتك مثلاً، وكما قد يستحضر في قلبه سماع لفظ قد قلته له، ثم يؤمر بالذكر باسم أنت تراه الأولى به في وقته، وحاله كما ستعلم، فإذا رأى أو سمع يحكي لك، فإذا حكى عرفت توجهه، وأمددته من قبله، وحاققته على الزيادة فيما يروي، فإنها تفسد عليه. وللصدق سر منكم، لا بد إذا اجتمع ولد العجب من ذلك، إنه متى صدقت نفسه، وصح توجهه إليك، فصورت أنت إياك في صورة أو ملبوس، ووقفت بفكرك فيه، أو صورت نفسك شيئاً كالفيل مثلاً رآه، فأخبرته بما رأى، فإن كان ضعيفاً استدرجته بالكلام، كما تعمل في المندل، تحدّثه بما يجب أن يرى، ثم تتركه فيرى بغير حديث، فإذا صح في الجماعة وتوجهه إليك، نحّه عنك، وأمره أن يسلك الطريق بعينه مع الله عز وجل، فقد عرفه بحاله. وأوصه أن يتحفظ من الغفلة في أقواله وأفعاله، فبذلك يبلغ نهاية آماله، ومن الضروري له إذا وصل أن يمحو من نفسه موضعك الذي حصل، فإن لم يفعل، فقد طرقت له باباً، وصرت له بعد ذلك حجاباً، والسلام.

خاتمة:

قد علمت أن للنفس حالات لا تحصي، وهيئات لا تستقصى، فمنها ما يشبه حال أحد الحيوانات، أو المعادن، أو النباتات، كالخنزير في الشهوة، والطاوس في التزين، والثعلب في الحيلة، وغير ذلك. كذلك كالحشائش المرة والحلوة، والترياقية، والأحجار ذوات الخاصية، وكذلك لها حالة ملك، وحالة شيطان، ولها ما فوق ذلك كله، وما تحته، مما يعلم ومما لا يعلم، فمتى غلب عليها حال من سائر الأحوال ألحقت بما غلب عليها، فتعود النفس بذاتها، ملكاً، أو شيطانياً، أو حيواناً، أو نباتاً، أو معدناً، أو غير ذلك مما علا ودنا.

وكما أنَّ لكلَّ موجود في الكون أثراً في الوجود بحسبه على قدر قوّته وضعفه، كذلك لكلّ حالة في النَّفس أثر إذا اتَّصفت النَّفس بتلك الحالة، وتعود النَّفس مخاطبة لإيّاها بصورة ذلك الحيوان، أو الإنسان، أو الملك، أو الشَّيطان، أو ترى ما يوجب لها هيئة من الهيئات. وفي الشَّريعة في كثير من المواضع أسماء لحالات نفسانية، قد سمّيت كلّ حالة باسم، وكذلك ما جاء ظاهراً في الوجود إنَّما ضرب لها به مثال، والمراد تلك الحالات لتستقرّ في النَّفس بالأمثال كما في قصّة آدم وإبليس، وغير ذلك، والمراد ما يستقرّ في النَّفس من المثل، لا نفس المثل، فالكلُّ في الدّارين أمثال أسماء لحالاتها، وتنبه على الاتّصاف بأفضل صفاتها، وإذا استقرّ هذا فاعلم أنّه كانت أجزاء جسد الإنسان مثبتة في العناصر، ولها نفس تخصّها، ثم انتقلت في الأطوار متريّقة إلى هاهنا. فلما كملت البنية، وقفت ولم تقف النَّفس، فهي أبداً كما كانت تخلع وتلبس صورة تخصّها، كما كان القلب من حين العدم المطلق إلى أن وقف، وكما أنّه في كلّ طور يملك ما كان له قبله ويزيد على المقدّم تالياً، فكذلك النَّفس لا تزال حتّى تملك سائر الموجودات من الصُّور والهيئات، وسائر ما تعبّر عنه في المقولات، ثمّ تخلع ما في وسعها أن تخلعه من المعقولات، وتعود قابلة ما عليها، يرد من الواحد الأوّل كفاحاً، وهي أيضاً تخلع وتلبس متريّقة فقيرة إلى ورود الاستقبال، غنيّة عن الماضي والحال، ومن هاهنا جدّ السُّفر، ومُحي الأثر، وانقطع الخبر، والحمد لله والصّلاة على رسول الله والسّلام.

الباب الثالث في المعمول

سبحان من أوجد من العدم موجوداً باقياً، وأبدع له عالماً يعبرُ فيه فانياً، لينقله منه إلى عالم البقاء ثانياً، وجعله من أول الإبداع مترقياً في العالمين دائماً سارياً، وزينه بالعقل فصار به مهدياً وهادياً، وجعل له الحواس الخمس مؤدية إلى النفس، فعاد بها الخفي عنه بادياً، وضرب له بكل أمثلاً، فجعل الكتاب العزيز أقوالاً، والمبين أفعالاً، ليظهر له بهما ما كان عنه خافياً، وجعل هذا العالم الأول المدركة معشوقاته مثلاً متفانياً، وصير معشوقات العالم الثاني مثلاً أعلى مضاهياً، فهناك أمثال معشوقات هي لطائف أشبهتها هنا معشوقات كثائف، فصار هذا لذاك محاذياً، ومن لدن الأول سبحانه فيض مشهود في ظل مبدعاته قد أصبح جارياً، حجب به المترقي بمراقبي الأذكار في سلم الأفكار فانقلب إليه النُصر خاسياً، وجذب به كليم الأسرار إلى نور الأنوار، فلما قال: ارقِ خِرْ صِعْقاً متلاشياً، فسبحان من احتجب بمعشوقات العالمين، وجعلها أمثلاً وصير كلاً إليها داعياً، وتعالى في غيبه، وتفرّد بالوحدانية فهو على صراط مستقيم ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، سبحانه وتعالى عالياً، وصلى الله على الرسول المعظم محمد، الحبيب المكرّم صلاة دائمة وسلاماً وافياً.

أصل:

لا يجوز على الأول تعالى لفظ البسيط، ولا الانحصار في مثله، لأن ذلك إنّما ظهر بالوجود، والله تعالى قبل الوجود، وقبل البسيط، فهو الواجب بضرورة العقل لزوماً. وأما العبارات فيه صارت، وكذلك كلّ ملحوظ، لأنه تعالى تقدّم الملحوظ واللاحظ واللحوظ، والداخل والخارج، فحدّق وانجمّع واجمع أنوارك إلى لبك، وانظر ممّن تطلب حاجتك عند الاضطرار، فإنك لا تطلبها ممّن هو معدوم.

أصل:

شيئان لا يكونان واحداً من كلّ جهة، إذ لا بُدّ من المميّز، ونفي المميّز نفي الإثنيّة.

تدريج:

من لم يمت في صدر العوالم فهو محجوب، فإن وصل إلى هاهنا فهو حر، والعبودية فوق هذا المقام، فهي التلقي والترقي مما هو فوق العوالم.

تفهم:

كل ما يديه العلم فهو تحت العقل، فهو من العوالم.

إنجاز:

النفس معبودة للجسم، فإذا اتّصف بصفاتها فهو هي، هو من غير اتحاد، والعقل معبود للنفس، فإذا اتّصفت بصفاته فهي هو من غير اتحاد. والحقّ معبود للعقل، فإذا اتّصف بصفاته فهو هو من غير اتحاد.

إعلام:

عالم الصفاء حجاب، لأنّ به يكون الكشف، وهذا يشاركنا فيه الرهبان، وإنّما تفضل عليهم بعالم الترقية.

تعريف:

كما أنّ الخلق لما يكون في زمن، فكذلك الإبداع هو لما لا يكون في زمن، فالعقل فوق الحسّ، فلا يدرك إلا مخلوقاً، فإذا الإبداع فوق العقل، فعادت مدركات العقل كلّها أصناماً.

نظم:

[الكامل]

مَيْلُ الْقُلُوبِ إِلَى سِوَاكَ حَرَامٌ	مَا كَانَ غَيْرَكَ كُلُّهُ أَضْنَامٌ
هَذَا الْمَوَاهِبُ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا	فَتَنْ لَدَيْكَ وَكُلُّهَا أَحْلَامٌ
وَالْعِلْمُ بِالْمَعْلُومِ جَهْلٌ شَاغِلٌ	عَمَّا يُرَامُ بِهِ فَكَيْفَ يُرَامُ؟
سَجَدْتَ لَكَ الْأَكْوَانُ وَالْأَزْمَانُ وَالْ	أَفْنَانُ وَالْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ
أَنْتَ الَّذِي وَإِلَيْكَ كُلُّ إِشَارَةٍ	وَعَلَى الْجَمِيعِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ

رجعة:

المواجه إذا لحظ رجع إلى العقل فقام بالشرعية، وإذا رقى خرج عن الحسّ فرفع عنه القلم، كالتائم حتى يتنبه.

مثال:

إذا كان التَّطَهُّرُ هو المراد بالماء، فما دام الطُّهْرُ حاصلًا، فالغنى عن الماء حاصل.

وهم:

لا يقال: بطلت فضيلة الماء عند من حصل له الطُّهْرُ، بل هو الذي لم يفارق الماء، وإن فارق الماء، إذ الغاية من الماء معه، فلا يحتاج إليه إلا إن رجع إلى الحدث، وكذلك الشريعة.

خيال:

ربما أخطر العلم بهذه الرتبة في بال العقل خيالاً شُبَّهَ له به أنه قد نالها، وسقط عنه التَّكْلِيفُ، فإن حاقق إياه وجده في تلك الحالة مكلفًا، والتَّكْلِيفُ حيث كان هو من الشريعة.

سلامة:

ما دام للعقل وجود مع المحسوس لا يسقط عنه تكليف الشريعة، ولهذا لا يسقط عنه من حيث هو في النوم، وإن سقطت من حيث الشارع. وإنما يسقط عن الميت.

محاqqة:

إذا قال العقل: قد صحَّ أنه إنما تُنال الحياة في الموت بالموت في الحياة، وهذه رتبتي، فليقل له العقل: إنما حدَّ العقل السَّماء، فما فوق السَّماء، فإما أنه يعترف أنه ما مات، وإما أنه ممَّن لم تفتح له أبواب السَّمَوَاتِ.

تجريد:

من لم يملك ملكة الموت عن المحسوس من كلِّ متعلِّق ظاهراً وباطناً، لا يُقال له: مجرد.

بداية:

من أراد ذلك فليبدأ بالموت عن الحفظ، فإنه ما دام حيًّا بها، فإما هارب أو عاطب.

سير:

من ماتت حظوظه فصباحها حيناً كان آمناً آنفاً، كما أراد أن يُركَّبَ ترياقاً من
لحوم الأفاعي، فإنه آمِنٌ من لسعها، ويأنف من مباشرتها.

وصول:

الواصل من تساوى عنده رؤية الضدين، وكان واحداً في الحالتين، وهذه العبارة
لا تقع عليه من حيث بل من حيثنا لنعرفه بها.

شعر:

[مجزوء الوافر]

رَجَالٌ إِنْ وَصَفْتُهُمْ	فَبِي عَنْ وَصْفِهِمْ لُكْنُهُ
هُمْ الْأَخْرَازُ حِينَ رَأَوْا	سِوَى مَخْبُوبِهِمْ فَثَنُّهُ
مَتَى عَرَفُوهُ مَا عَرَفُوا	وَهَذَا عِنْدَهُمْ سُتْنُهُ
مَعَارِفُهُمْ مَعَ الْجَنَّاتِ	عَادَتْ عِنْدَهُمْ جَنُّهُ
وَعَادَ الْمَوْتُ بَيْنَهُمْ	وَبَيْنَ حَبِيبِهِمْ جُنُّهُ
فَقَدْ رَكَبُوا جَوَادَ الصَّبِّ	رَبِيعَ الْمَوْتِ وَالْمِحْنَةِ
وَهُمْ لِلْمَوْتِ يَنْتَظِرُونَ	نَ وَهُمْ عَلَيْهِمُ الْمِئَّةُ

تعريف:

ومن كان إطلاق الجمال حجاباً، ومشهوده في الجزء، ومما يرى الكل، ولم
يجعل الأشواق من كل جانب مطايا إلى المحبوب، تاهت به السُّبُل.

تحقيق:

العبودية في تنزيه الربوبية.

نظم:

[البسيط]

يَهِيمُ شَوْقاً وَمَا تُخْفِي سَرَائِرُهُ	وَفِيكَ بَاطِنُهُ أَضْحَى وَظَاهِرُهُ
عَبْدٌ بِحُبِّكَ قَدْ أَفْنَى أَوَائِلُهُ	وَفِيكَ يَا سُؤْلُهُ تَفْنَى أَوَاخِرُهُ
يَا مَنْ يُشِيرُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ مُعْتَرِفاً	بَأَنَّهُ فَوْقَ مَا تَحْوِي ضَمَائِرُهُ
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَعَنِّي لَا تَغِيبْ وَهَلْ	أُنْسَى الَّذِي أَنَا بِالنُّسْيَانِ ذَاكِرُهُ
مَنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنْ ذَاتِي إِلَيَّ فَفِي	طَرْفِي أَرَاهُ وَفِي قَلْبِي مَخَاطِرُهُ

يا فاطرَ الكَوْنِ يَهْوَاهُ بِفَطْرَتِهِ مُشَاهِداً وَحِجَابِ الكَوْنِ سَاتِرُهُ
ظَهَرَتْ فِي كُلِّ مَا أَظْهَرْتَهُ قَعْدَا يَرَاكَ بِالْعَيْنِ طَرْفُ أَنْتَ نَاطِرُهُ
وَوَغِبَتْ عَنْ كُلِّ مَا أَحْدَثْتَ مُحْتَجِبَا فَلَا يَحْقُوكَ قَلْبٌ أَنْتَ فَاطِرُهُ
لَمَّا تَعَرَّفْتُ لِلأَشْيَاءِ أَجْمَعُهَا قُلْنَا بِلَا مِرْيَةٍ: كُلُّ مُظَاهِرُهُ
وهو المنزَّه عن كُنْهِ الحُلُولِ وَعَنْ طَوْرِ العُقُولِ فَقَدْ جَلَّتْ شَعَائِرُهُ
مِنْ حَيْثُنَا ظَهَرَتْ أَسْمَاؤُهُ وَلَهُ التَّ تَنْزِيَهُ عَنْهَا فَكُلٌّ لَا يَجَاوِرُهُ
أَلَا تَرَاهَا حَدِيثاً قَدْ تَقَدَّمَهَا إِنَّ الْقَدِيمَ حَدِيثٌ لَا يُخَامِرُهُ
وعن تعالى، تَعَالَى أَنْ يُقَالَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَبَداً لَوْلَا أَوَامِرُهُ
يَا مَنْ دَنَا وَتَعَالَى أَنْ يُحَاطَ بِهِ فَكَيْفَ تَحْوِيهِ مِنْ قَلْبٍ خَوَاطِرُهُ
كُلُّ لِقُرْبِكَ مِنْهُ قَائِلٌ أَنَا هُوَ وَبُعْدُهُ عَنْكَ يُغْطِيهِ تَغَايِرُهُ
فَبُعْدُهُ عَنْكَ سَاوَى الْقُرْبِ مِنْكَ لَهُ فَقَدْ غَدَا جَاهِلاً تَبْدُو مَعَاذِرُهُ
وَجَهْلُهُ بِكَ سَاوَى الْعِلْمِ مِنْكَ بِهِ فَالْعِلْمُ عَاذِلُهُ وَالْجَهْلُ عَاذِرُهُ
لِذَاكَ أَصْبَحَ لَا يُخْشَى سِوَاهُ وَلَا يَرْجُو سِوَاكَ لِكَسْرِ أَنْتَ جَابِرُهُ

الله أكبر، الله تعالى غني عما في السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وغني عن المحدث، وله المحدث، وغني عن أن يحدث وعن أن لا يحدث. وله أن يحدث وأن لا يحدث. وله الأسماء والصفات، وغني عن الأسماء والصفات، فغناؤه بذاته من حيث هو، وله ذلك من حيثنا، ولا يقال: اقتضت إلهيته الإيجاد، فالإلهية منفصلة عن الاقتضاءات، لأن لها الغناء المطلق، والإطلاق لا يثبت قيد الاقتضاء لإيجاد ولا لغير إيجاد، بل له الإطلاق عن التقيد بالإطلاق، أو بقيد ما. وإنما غلط العقل لما رأى مصنوعات الحق تعالى تقتضي اقتضاء ما، فظن أن ذات الحق تعالى اقتضاء ما، وليس كذلك إذ قد ثبت أنه الغني المطلق، فله إطلاق القدرة لزوماً عن إطلاق الغنى وله إطلاق الاختيار لزوماً عن إطلاق القدرة، وله إطلاق المشيئة فيما يختار، وإطلاق الاختيار فيما يقدر، وإطلاق الغنى عما يقدر ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[الكامل]

شعر:

أَوَمِتْ إِلَيْكَ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ وَعَلَا عِلَاوُكَ سَائِرَ الْأَنْبَاءِ
فَتَقَطَّعْتَ عَنْكَ الْعُقُولُ وَأُضْبِحْتَ مَسْجُونَةً فِي ظُلْمَةٍ وَعَمَاءِ

فَالصَّمْتُ أَفْصَحُ نُطْقِهَا وَكَأَنَّهَا قَالَتْ لِيَصْمِتَ سَائِرُ النُّطْقَاءِ

وهم:

ما ليس بجسم هو منزّه عن الجهات، ولا يتصوّر أن تقع عليه الإشارات بالحسيّات، والنفس ليست بجسم، فهي تدرك ذاتها وما دونها، ولا تدرك الباري تعالى. ولما تفتن بعضهم إلى أنّها غير جسم ظنّ أنّها الباري، فجعلها رهن الشهوات، تحكم عليها الحركات السماويات، والخواصّ الأرضيات، وكيف يمتاز بعضها عن بعض في الأزل، وهي واحد في لا محل.

[الطويل]

نظم قال فيه:

إِلَيْكَ إِشَارَاتِي بِنَفْيِ الْإِشَارَةِ وَعَنْكَ عِبَارَاتِي بِسَلْبِ الْعِبَارَةِ
وَكُلُّ مَقَامٍ أَوْ مَقَالٍ وَمَشْهَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَوْمَى فِدْوَنَ الْإِمَارَةِ

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، لأنّ من الأسماء ما عبّر به مجازاً على صورة الاستعارة ليفهم به المقصود بصيغة من العبارة، خطاباً للناس على قدر عقولهم، كما عبّر باليد والعين وغير ذلك، كالمعية والأين، ومن ثوّرت بصيرته وطهرت من رؤية الأغيار سريره، وصفت مرآته، واتحدت ذاته، رأى سائر أسماء الصفات كذلك، ونزّه عما هنا ما هنالك.

تحقيق:

لما كانت ذاته لا تُمثّل ولا تُعلم، وصفاته من لوازم ذاته، لزم أن صفاته أيضاً لا تُمثّل، ونحن لا نعرف ما لا نعرف إلا بالأمثال، ولا مثل لصفة من صفاته، فنحن إذا عارضنا إنّما نعارض صفاتنا فنظنّ أنّنا قد عارضنا صفاته، وكذلك إن عرفنا ولا شك أنّ لنا قدرةً وعلماً وسمعاً وبصراً، وصفاتنا كلّها مخلوقة مثلنا، فنظنّ بمشاركة الإسمية أنّا فهمنا أنّه سميع، بصير، عليم، قادر، وعلمنا ذلك، وليس كذلك، إنّما علمنا صفاتنا ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[المجث]

نظم:

مَا قَلْبُهُ قُلْتُ عَنِّي فَلَا أَرَى الْقَوْلَ يُغْنِي
هِيَ هَاتِ أَذْرُكَ ذَاتاً إِلَيَّ أَقْرَبَ مِنِّي
لَمَّا دَنَا وَتَعَالَى أَصْبَحْتُ عَنْهُ أَكْنِي

بغيره وإله هذا أقولُ لي عنه: إني
ولا سيواي وهذا حقيقة الممتني
فالصمت أولى ومهما نطقت إياي أغني
تصديق ما قبله: [الكامل]

يا مَنْ تُخاطِبُه حَقِيقَةُ ذاتِهِ مِنْ غَيْرِهِ لَكِنَّهُ لَا يُعَلِّمُ
وهو المُخاطَبُ ذاتُهُ في غَيْرِهِ فهو المكلِّمُ عنه والمتكلِّمُ
مِرْاثُكَ الأَكْوانُ عَنْها صادِرُ ما تستحقُّ فَنِيْرُ أو مُظْلِمُ
كُنْ كَيْفَ شِئتَ فلا سِواكَ مُعامِلُ ومُعامِلُ، ومُعَلِّمُ، ومُعَلِّمُ
أو ما تراك بما تقولُ مُحَدِّثاً عَنَّا وأنتَ مُكَلِّمُ ومُكَلِّمُ
وإليكَ عَنكَ يَعودُ ما أبَدَيْتَهُ عَنَّا ونحنُ حَقِيقَةُ لا نَعْلَمُ

سِرُّ السِّرِّ لا يكونُ أبداً إلا سِراً، فلو أمكن علمه لم يكن هو، وكذلك الغيب والجنة، ونحن إذا عظمنا أمراً استعزنا له من هذه الأسماء مجازاً.

إيضاح:

الأبرارُ يتقون الجهل، والمقربون يتقون العلم.

مثال:

ظُلُكَ محجوب بك، فكيف يدرك الثور الذي يظهره وهو محبوس في ظلمة كونه.

تعريف:

أعرفك بالصفات الافتقارية، فليس لها محلٌ غيرك، واعرف من أنت عبده بالاعتقاد النافذ فيك.

رجل:

إذا وقف سمر العبد مع من لا تظهر عنه الحركة والانتقال لم تظهر عنه كرامة أصلاً، وصار الأمر باطناً، ففي باطنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذا يذهب الأنس والوحشة من قلبه.

عبد:

إذا كوشف العبد بالأمر، فذلك العلم، وإذا ثبت عليه من غير أن يتخلله عقله، فذلك اليقين، وإذا حكم عليه وأثر فيه أثراً تتصرف النفس على حكم ذلك الأثر فهو الطمأنينة.

حق:

أحاجة الكون إلى الله تعالى ذاتية؟.

عبودية:

أي عبد عتِن حاجة إلى الله تعالى، فقضاها له، زالت عبوديته، وفقره إليه من حيث تلك الحاجة، ومن علم بأنه تعالى أعلم بما له فيه الخيرة منه لم يبق له إليه حاجة سواه.

مثال:

ليس للشمس في مقابلة شيء من الأجسام كمال، بل هي في إشراقها كاملة، ومقابلها له من إشراقها نصيب بحسبه، وحسبه إليه لأنه هاهنا في هذا المثال الإنسان، وهذا مثال كافٍ، ومقال شافٍ، ومن كان في باطنه التوجه إلى ما هو فوق طور العقل، فلو أفيضت عليه المقولات كلها جملة واحدة، لم تشف له غليلاً، بل ذلك كما لا يسكن الجوع بالماء والعطش بالخبز.

إظهار:

اعلم أن إظهار الفاعلية غير إظهار العقل، وإن دل عليها، فأظهر الله الفعل بإظهاره الوجود، وأظهر الفاعلية بإظهار فاعل مختار، ونضرب مثلاً بالشمس والقمر الذي نوره من نورها.

بيان:

نور القمر من نور الشمس، والحركتان مختلفتان، فكذلك فاعلية العبد من فاعلية الحق، لكن حركة القمر غير حركة الشمس، فهو بحركته التي لو كانت إرادية له كحركة الإنسان لأوجد الثور حيث شاء، وإن كان من غيره.

تنزيه:

دلّ على وجوده بمصنوعاته، وتعزّز في ذاته الأعلى ذاته، فهو المنزّه عن الكمال الذي لا يمكن إدراكه للخلق، فلمّا تقطعت دون إدراك حقيقته الأسباب، علم أنه هو بهذا الحجاب.

شعر:

[الكامل]

عَقَلْتُ لَكَ الْعُقْلَاءَ عَنْكَ عُقُولُهَا بَعَثْتُ إِلَيْهَا مِنْكَ فَهِيَ رَسُولُهَا
وَتَحَقَّقْتُ مِنْكَ الْقُصُورَ فَأَصْبَحْتُ وَقُصُورُهَا عَمَّا تَرُومُ دَلِيلُهَا
وَمَتَى رَأَيْتُكَ لَهَا رَأَتْ فَوْضُولُهَا عَيْنُ الْحِجَابِ وَفِي الْحِجَابِ فَضُولُهَا

نثر فيه:

العقول والأفكار محدثات، وكلّ محدث حجاب، فكيف الوصول إلى الواجب والمدرّك هو الحجاب.

في الدُّعاء:

الدّاعي يجب أن يُشهد، ويُسمّى داعياً، وهذا غير من سمّاه الحيّ بالنسبة إلى الأموات، والقديم لا اضطرابه إلى عالم المحدثات، فالمسمّى ليس فيه شيء من ذلك.

بيان:

الصفات عين الذات، إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي الذات وهي غير الذات إذا نظر إليها من الوجه الذي يلي انقسام الوجود إلى الأقسام المتعددة، ولهذا مثال أن العشرة قائمة بنفسها فهي بنسبة الثلاثين ثلثها، والأربعين ربعها، مع أنّ العشرة واحدة، فالعزّ والذلّ مثلاً إنّما هو لنا بنسبة شيء إلى شيء، إذ المتغاير كلّهُ للمحدث، فإذا نسب إليه سبحانه أهل العزّ يسمّى مُعزّزاً، وأهل الذلّ يسمّى مُذِلّاً، وإذا اعتبر ذلك المعنى مع نسبته إلى الماضي من الأزمنة استعير له لفظ الأزليّة، وإلى الاستقبال استعير له لفظ الأبدية، فهو الموصوف بكلماته، والأحد المتعالي بذاته عن أسمائه وصفاته، فافهم كذلك سائر الصفات، وإعلام أنّ الذات الناقصة تكملها الصفات، والذات الكاملة تكمل غيرها بالصفات. فمن حيث هو تعالى مكمل لنا بالصفات، صارت عندنا أسماء له، وأمّا من حيث ذاته تعالى فهو لا تغاير بين ما تسمّيه له علماً وإرادة وقدرة، فذاته كافية للكلّ في الكلّ، وهي بالنسبة إلى المعلومات علم، وإلى

المقدورات قدرة، وهي الموصوفة بالأحدية، ولا مغايرة هناك، بل كما لا يحتاج في شيء إلى شيء. وانطلاق هذه الأسماء عليه إنما هو من حيث الاصطلاح المعروف المألوف عندنا، المبني عن ذات مبدعة عاجزة، ولولا قوله لنا عنه تبارك وتعالى لما جاز لنا ذلك، بل تعالى عن قولنا تعالى، فاعلم أنه تتمحق قوى العقول دون الوصول إلى إدراك أثر من آثار مبدعها، وكيف لا وعلمه الأول كان موجوداً قبل الزمان كما هو الآن، لكنّها تدرك عجزها عن ذلك كما يدرك الوهم عجزه عن إدراك حقيقة موجود لا يكون داخل العالم، ولا خارجاً عنه، ولا مُتصلاً به، ولا منفصلاً عنه، ولا يمكن أن يعبر عن حقيقة العلم الأزلي إلا بهذه العبارة، ولذلك تتشوش العقول دون إدراك ذلك، فهذا مُعْتَقِدُ قوم اعتقدوا بضع سنين في العلم القديم ما يعتقده الضلال حتى هُدوا فضلاً من الله، والله تعالى يزيدهم معرفة بعجز عقولهم، فمن طمع أن يحيط علمه وعقله بحقيقة علم كان موجوداً قبل الكون، وقبل القبل، فقد طلب بيض الأنوق، وقد طمع في تناول العتيق، وانخلع بالحقيقة عن غريزة العقل، وبالحري أن يُعَدَّ أمثاله من المجانين. فعقولنا أعجز عن إدراك العلم الأزلي من النمل، بل من الجماد عن إدراك علمنا بدرجات كثيرة، ونسبة علمه إلى علمنا كنسبة قدرته إلى قدرتنا التي هي بالحقيقة عاجزة عن إبداع شيء من الأشياء، فضلاً عن إبداع السموات والأرض من لا شيء.

ولما كان العقل يدرك الفرق بين القدرتين، ولا يدرك الفرق بين العلمين من أول وهلة تاه في الحكم ووقع في هذه الأغلوطة، فسبحان من أرسل محمداً ﷺ، وقال عز وجل: ﴿فَإَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، فهذه إشارة صريحة إلى علمه بالجزئيات، منبهة بأن كل موجود له نسبة ما إلى وجهه سبحانه وتعالى، ولولا تلك النسبة لما وُجِدَ، فكل شيء يعانيه لأن وجهه إليه، فافهم.

[البسيط]

شعر:

يا مَنْ تَعَالَى عَنِ الْأَفْكَارِ مَعْنَاهُ لَكِنْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَخْشَاهُ
نَاجَيْتُ فِكْرِي وَنَاجَانِي بِهِ فَعَدَا مُطَهَّرًا عَنْ سِوَاهُ فَهُوَ مَاوَاهُ
أَنَا أُمِّثِلُ فِي فِكْرِي أَخَاطِبُهُ خَلَقًا وَفِي الْخَلْقِ مَا خَاطَبْتُ إِلَّا هُوَ

[الكامل]

حال:

هَامَتْ بِحُبِّكَ أَنْفُسٌ وَعُقُولُ وَتَوَلَّهَتْ بِكَ أَرْبُعٌ وَطُلُولُ

وتوجَّهْتَ الكائناتُ فأضَبَحَتْ تَضَبُّوْا إِلَيْكَ بِكُلِّهَا وَتَمِيلُ
فِيكَ الوجودُ مُتَيِّمٌ وَجَمِيعُهُ لِجَمِيعِهِ عَنِّي وَعَنْكَ يَقُولُ
لَوْلا جَمَالُكَ مَا تَهَتَّتْ عَاشِقٌ بَلْ كُلُّ مَعْشُوقٍ عَلَيْكَ دَلِيلُ

تعليم:

الوجود يريد به هاهنا ما سوى الله تعالى، والقبلية والبعدية من حوادث الوجود، فلا يُقال قبل إيجاده قبل ولا بعد حتى يُقال: لو لم يوجد قبل، فإنَّ القبل والبعد عارضان من عوارض المكان، وما سوى الله مبدع له، وهو من جهة المبدع لا نسبة له إليه، وهذا معنى قوله عليه السلام: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ»^(١) فأزليته حاضرة مع أبديته. وحيث سلطانه فلا موجود غيره، وسبقه للوجود الماضي كسبقه للوجود المستقبل من غير فرق، بل هما كسبقه لما في هذا الطُّرس^(٢). ونسبة الأزلية إلى الأزمنة كنسبة العلوم إلى الأمكنة، إذ لا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان، بعيدة من آخر، بل نسبتها واحدة إلى كل مكان، ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان، ولولا القول بالإبداع لكان الوجود فائضاً عنه. ومن زعم أنَّ كلا القولين واحد، فليس كذلك، إذ لا إبداع إلا لما لم يكن، والمُبدع فقير، فالإنسان أبداعٌ له قدرةٌ على الكلام والسُّكوت، وتكون القدرة موجودة مع عدم الكلام على الكلام، لأنَّ ذلك مقرون بالمشيئة، والمشیئة من الإنسان مقرونة بغرض، ولما كان ذو الغرض، وهو الإنسان، فقير إلى غرضه، وقف العقل وانحطَّ عن إدراك مشيئته من فاعل قادر لا عبثاً، وهو غنيٌّ إذ ذاك فوق قوَّة العقل، وليس في قوته أن يدرك ما ليس في قوته، ومن هاهنا تقدّم الأنبياء على العقول، فليتأخّر العقل هاهنا وليسجد.

مثال:

كما أنَّ البصرَ عاجزٌ عن إدراك كثير من الموجودات كالمسموعات والمشمومات مع قدرته على ما خلق قادراً عليه من المبصرات من حيث هو هو، فكذلك العقل يعجز عن إدراك كثير من الموجودات مع قدرته على ما خلق قادراً على إدراكه من حيث هو هو، فلا تغترّ، فإنَّ العقل مجبُولٌ على التَّحَلِّي بكلِّ كمال من منع التعرّي عنه، فلا يعترف بالعجز، بل يخوض فيما يجوز، وفيما لا يجوز له الخوض فيه.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) الطُّرس: الصحيفة، أو التي مُجِيت ثم كُتِبَت.

برهان على ما تقدّم:

العقل عاجز عن إدراك عجزه الحقيقي، وأين هذا من إدراك العلم الأزلي؟.

زيادة:

اعلم أنّ جميع الموجودات بالإضافة إلى العرش كالذرة، بل والذرة بالإضافة إلى العرش شيء ما، والموجودات كلّها بالإضافة إلى العلم ليست شيئاً أصلاً، فما للعميان والسؤال عن حقائق الألوان؟.

عذر وتفهم:

قد علمت أنّ كلّ ما يدرك العقل بالألفاظ المشار بها إلى الصفات الذاتية، فكذلك بعيد عن حقائقها أي بعد، وإنّما لولا هذه العبارات لتأه العقل وانقطع لأنّه في أسر الزمان، وما لم يخلع صورته لا يخرج من ذلك الأسر، فجاءت الأنبياء بما هو فوق طوره، فكأنّه إن تبعهم قد خلع صورته في بعض الأمر، وخرج من الأسر، ولا يتم له ذلك إلا بالإيمان بالغيب، وهذا هو المراد، لأنّ شجرة المعرفة هي التي أكل منها آدم، وذلك أنّه مال إلى العقل عن الشرع، والذي أغواه بها هو أكل منها قبله، إذ خالف الأمر بما ظنّ أنّه حق في العقل، فافهمه جيداً.

واعلم أنّه لما كانت المعاني جواهر، والألفاظ أصدافها، والحكم معادن، والقلوب أهدافها، وجب على كلّ من فتحت اليقظة عين بصيرته، وجلت الموعظة عين سريره، أن يتبع من الكلام معانيه، ومن الحكم ما يبلغ به أمانيه، ولا يقنع من المعدن بدون كنزه، ولا من لفظ إلا بفهم رمزه.

وجود وإشارة وغاية:

كما أنّ السراج يتبدّل في كلّ طرفة عين لأنّه قائم بالمادة، وكلّ ذرة منه غير الأخرى، فكذلك تبدّل الجود، وغير العارف يظنّ أنّه هو، والناظرون بعين العقل، يرون للموجودات في ذواتها ترتيباً، ويرون بعضها أقرب إلى بعض إلى الأول، وهو واحد، والموجودات منه كثيرة.

وأما الناظرون بعين المعرفة، فلا يرون للموجودات ترتيباً أصلاً، ولا يرون بعضها أقرب إليه من البعض، بل يرون هويته مع كلّ موجود مساوقة له حسب مساوقته للوجود الأوّل في نظر العلماء من غير فرق، وهذا لأنّ العلماء جاؤوا من خارج، ومن أسفل، والعارفين من داخل ومن فوق، فاجعل العلوم بذراً ثمراتها المعارف، فالمعارف من العلوم كالمعاني من الألفاظ، فمتى صارت العبارات

إشارات، فهذا باب المقصود، وقد قال عين القضية رحمه الله تعالى: إِنَّ كُلَّ مَا كُرِّرَ مرّةً أو أكثر وعلمه غيرك، فهو علم. وما لا يفهم من جهة الألفاظ فهو معرفة، فعلوم الأنبياء لدنيّة، فمن كان علمه من الكتب والمعلّمين فليس هو من ورثة الأنبياء، ومن اختصّ بغير ذلك فله من الوراثة بحسبه، وهذا هو الذي لا يحصل إلا بالتقوى، ومن لوازمها الصبر، ولا يُهمل أمر العلم والمعلّم، لكن لا يقتصر عليهما، فليس في قوتها إلا الإرشاد إلى سبيل الموردة، فإذا عرفت فسيرَ وردّ، ومن ظنّ أنّه يصل إلى هاهنا بغير جهاد وتجربة فهو ضحكة الشيطان.

نبوءة:

واعلم أنّ الإيمان بالنبوءة إيمان بالغيب، فإن شبه العقل هذا الغيب بشيء من الحاضر، فليس هو هو، فإن حصل لك مثل هذا الإيمان، وإلا فحرام عليك أن تأكل وتشرب أو تنام حتى تعرفه.

تحذير:

احذر بأن تفهم من القول بأنّ الأوّل سبحانه وجوده مساوق لكلّ مبدع أنّه يلزم أن يكون شيء مساوقاً لوجوده. بل هو مع كلّ شيء وليس معه شيء، بل مساوقته لما لم يوجد كمساوقته للموجود من غير فرق، وهاهنا يكلّ العقل عن إدراك أنّه مع كلّ شيء، وأنّه قبل كلّ شيء، فقبليته لا تتناهى مع كونه يسلم أنّه لا شيء قبله ولا بعده ولا معه.

نظم:

[البسيط]

طَيْفٌ أَطَافَ بِقَلْبِي أَيْنَ مَغْدَاكَ	ها قَدْ حَلَلْتَ فَدَتِكَ الرُّوحُ مَاوَاكَ
مَتْنِي الْمَنَى قَدْ حَلَلْنَا الْأَبْرَاجَ وَهَا	سُؤْلِي وَسُؤْلُكَ تَهَوَانِي وَأَهْوَاكَ
نَاطَقَتْنِي بِلِسَانِي فَاسْتَمَعْتُ لَهُ	فَاللَّفْظُ لَفْظِي وَمَعْنَى الْقَوْلِ مَعْنَاكَ
أَقُولُ لِي فِي مَقَامِ الْقُرْبِ هَا أَنْدَا	فَخَلَّ غَيْرِي وَذَرَّ احْذَرْ وَإِيَّاكَ
إِنِّي أَحَدْتُنِي عَمَّنْ أَحَدُّهُ	إِيَّاي نَاجَيْتُ إِذْ نَاجَيْتُ إِيَّاكَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَاتِي عَنْكَ تُخْبِرُنِي	أَنِّي تَمَلَّكَتُ أَمْلَاكَ وَأَفْلَاكَ
فَالْكُلُّ لِي وَأَنَا الْمَقْصُودُ عَنْ كَتَبِ	وَأَنْتَ أَعْلَى عَلَى الْأَفْهَامِ إِدْرَاكَ
وَمَنْ رَأَى بِذَاتِ الْكُلِّ مُتَّحِداً	فَقَدْ تَوَرَّطَ أَشْرَاكَ وَإِشْرَاكَ

وصية:

إذا تجردت عن الصور والجهات، ووقفت معه بالذات، وأحضرك حالك لديه، وغيبك عن سواه إليه، فأصبحت مجاب الدعاء، مكاشفاً بغيب الأرض والسَّماء. مخاطباً بسائر الأسماء، فلا تدع إلا إياك إليه، ولا تستدلّ بغيره عليه:

[الكامل]

نظم:

كُن حَاضِراً فِي كُلِّ آنٍ دَائِماً مُسْتَخْضِراً إِيَّاكَ بَيْنَ يَدَيْهِ
مُتَجَرِّداً مِمَّا سِوَاهُ دَاعِياً إِيَّاكَ عَنْكَ وَعَنْ سِوَاهُ إِلَيْهِ

احتجاج:

لو جمع بين الواجب والممكن من وجه لجاز عليه الدُّور والاضمحلال من ذلك الوجه، لأنَّ الإحاطة بالمعلوم تقضي بتناهيهِ، والتناهي على الحقِّ الأوَّل محال، فالإحاطة مُحال، ومن علم أمراً من وجه ما لأَمِّن جميع وجوهه، فما أحاط به، ولا يمكن أن تنسب إلى الدَّوات صفات إلا بعد معرفة الدَّوات، وحينئذٍ تعرف كَيْفِيَّة النسبة، فلهذا لا جائز أن يُوصَفَ سبحانه بما لم يصف به نفسه، كما يقال: القديم، وإن جاز عقلاً.

اعلم أنَّ الممكن لا يعلم موجدَه إلا من حيث هو لا غير، فنفسه علم، وأما من حيث هو معلول عنه فغير ذلك، ولا يصحَّ أن تكون هذه العلة معلولة لمعلولها، لأنَّ العلم بالشيء يؤذَن بالإحاطة به، والفراغ منه كما تقدم. وهذا في ذلك الجنب محال، فالعلم محال، ولا يصحَّ أن يعلم منه، لأنَّه لا يتبعض، فلم يبق العلم إلا بما يكون منه، وهو أنت، فأنت العالم والمعلوم هاهنا.

فإن قيل: علمنا بليس هو كذا علم به، قلنا: هي نعوُثُكَ جَرَدَتِ عنها فتميّزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة بنفسها.

وما تميزت لك هي، وذلك لعدم الصَّلَات الثَّبوتية التي لها في نفسها فافهم ما علمت، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤]، لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فَبِعِلْمِهِ أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو له لا لك، وأنت أنت لك وله، فأنت مرتبط به، وما هو مرتبط بك، والوجود هو الخير المحض، ومقابله العدم وهو الشرُّ المحض، وله وحدة إطلاق الوجود، ولا لسواه، والضَّدَّان لا يجتمعان.

تفهيم وإيضاح وتفهم:

أنت معنى الكون كله، وأول القرب من المكوّن بعدك عن الكون.

نظم:

[الكامل]

أخفيت إذ أظهرت معنى كائناً
فإذا أردت ظهور ما أخفيته

ما لم يكن فخفيت في الإعلان
فاخف الذي أظهرته فتراني

مؤمن:

[البسيط]

يا آخر الكل فيك الكل مُندرج
وأنت جزؤك أو جزء الوجود كما
فالكل جزء أو ما فوقه أبداً
[إن غبت غاب وإن تحضر تجدك له
فإن تكن فلماً أو إن تكن ملكاً
أخطأت قصدك فالمقصود كونك إذ
هذا مقام رسول الله قُـم أبداً

وقولي: الكل كافٍ إن تكن فطنا
تكون عيناً إذا ما شئت أو أدنا
أضحى بقصدك مغروقاً ومُرتهنا
ذاتاً تراها لما حاولته وطيناً
أو كنت روحاً لروح الكل أو بدناً
ساناً وعبداً ومفتوناً ومُمتحناً
به تكن آمناً في الكل مؤتمناً

غيره:

[الطويل]

متى أغتني عن ذا التنفّس والنفس
ويطلق هذا الطير من قفص البلى
قدغني من سعدى وليلي وزينب
[ودغ فلماً يجري ودغ ملكاً علي
ودغ جنة المأوى مع السدرة التي
ولا تتخذ غيراً دليلاً على المني
قنوريته الإنسان أغنت بذاتها
مقامك ذا قُـم فيه وخذك حاضراً
وإن كنت ممن يغرف الفرق هاهنا
فيسر عنك مفقوداً بوجد إلى الذي
فمن نال منه الوجد ما الفقد عنده

ويبدل لي خوفي وأخرج من حنسي
إلى مطلق في مطلق الثور والأنس
فكم وحشة تلقاك في الإنس بالأنس
على قمة العلياء في عالم القدس
هي المنتهى في عالم العقل والجس
سواك تصل عين اليقين بلا لبس
عن الكوكب الدري والبذر والشمس
فيومك يغني عن غد لك أو أمس
يقيناً بلا رجم بظن ولا حدس
تعالى عن الأفلاك والعرش والكُرسي
ومن وجد الأكسير ما قيمة الفلس

ران:

نظم:

عَلَا الْأَمْرُ حَتَّى كَادَ يَعمَدُ عِنْدَنَا
فَأَظْهَرَ مِمَّا تُبْصِرُ الْعَيْنُ ظَاهِرًا
وَمِنْ حَيْثُ أَنَّ الْكُلَّ دَلٌّ بِكُلِّهِ
وَقَدْ أَظْهَرْتَ مِمَّا الْعُقُولُ مَظَاهِرًا
فَمَظْهَرُ كُلِّ مَظْهَرٍ مُظْهَرٌ لَنَا
وَلَكِنْ هَذَا فَاعِلٌ مُتَقَدِّمٌ
كَفْلِكَ بِنَا تَجْرِي وَنَجْرِي بِهَا فَخُذْ

إيضاح:

نظم:

فِي ظُلْمَةِ الْكَوْنِ كَانَ الْمُلتَقَى بِهِمْ
نَعَمْ وَلَوْ لَا حِجَابُ الْجِسْمِ لَمْ تَرِ مَا
مَشِيْمَةُ الْجِسْمِ كُلُّ كَالْجَنِينِ بِهَا
وَالْعَقْلُ فِي ظُلْمَةِ الْأَحْدَاثِ مَسْكَنُهُ
فَالْجِسْمُ فِي عَدَمٍ وَالْعَقْلُ فِي ظُلْمٍ
فَلْيَسْجِدِ الْعَقْلُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ فَمَا
وَفَوْقَ مَا فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ مُحْتَجِبٌ
هُنَاكَ فِي عَالَمِ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ تَرَى
لَوْ أَدْرَكَ الْمَرءُ قَبْلَ الْكَوْنِ غَايَتَهُ

جد:

لَكَ مِنْ فُؤَادِي رُتْبَةً لَا تُدْرِكُ
وَلَقَدْ كَفَفْتُ خَوَاطِرِي عَنْ أَنَّهَا
وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَةً
وَوَقَفْتُ عِنْدَ الْأَمْرِ مُغْتَرِفًا بَلَا
حَسْبِي بَأَنْ عَرَّضْتَنِي لِرِضَاكَ لِي

[الطويل]

كَذَاكَ دَنَا حَتَّى مِنَ الْكُلِّ يَظْهَرُ
لِذِي الْعَقْلِ مِنَ اللَّعِينِ وَالْعَقْلِ يَظْهَرُ
عَلَى فَاعِلٍ قُلْنَا لَهُ: الْكُلُّ مَظْهَرُ
بِمَا ظَهَرَتْ إِذْ حِينَ تَظْهَرُ تُظْهَرُ
بِكُلِّ، وَكُلُّ مَظْهَرٍ هُوَ مُظْهَرُ
تَعَالَى، وَهَذَا فَاعِلٌ مُتَأَخِّرُ
مِثَالًا لَمَّا فِي الْعَقْلِ لِلْعَقْلِ يَبْهَرُ

[البسيط]

فَأَيُّ عَيْنٍ تَرَى الْأَكْوَانَ فِي الظُّلَمِ
وَرَاءَهُ بَيْنَ مَجْمُوعٍ وَمُنْقَسِمِ
وَهَذِهِ كَرَّةُ الْأَفْلَاكِ كَالرَّجَمِ
مَا زَالَ فِي سَاحَةِ اللَّذَاتِ وَالْأَلَمِ
وَالْكُلُّ فِي حَدَثٍ وَالْحَقُّ فِي قَدَمِ
لَهُ سِوَى رُؤْيَا الْأَحْكَامِ وَالْحِكَمِ
عَنْهُ بِهِ قَدْ تَعَدَّى مُقْتَضَى الْكَلَمِ
بِهِ وَلَيْسَ هُنَا فِي الْكَوْنِ غَيْرِ عَمِي
فِيهِ تَسَاوَى وَجُودُ الْمَرءِ بِالْعَدَمِ

[الكامل]

وَسِوَاكَ مِنِّي ذَرَّةٌ لَا يَمْلِكُ
تُومِي إِلَيْكَ مَخَافَةً لَا أَشْرُكَ
مِنِّي عَلَيْكَ فَلَسْتُ نَحْوَكَ أَشْلِكُ
قَضْدِ اخْتِيَارِ لِي لِأَنِّي أَهْلِكُ
وَهَدَيْتَنِي كَرَمًا فَبَانَ الْمَسْلُوكُ

كشف وإرشاد:

[الكامل]

فاقرأه فيك تجذّه عينَ القاري
ألفُ تألّف منه باءُ الباري
فبها إليك شهدت سينَ الساري
حما منه كائنُ حُجْبَةِ الأسرارِ
عن عَيْنِها عَيْناً ترى المُتواري
ذا الاختيارِ سواك ما في الدارِ
بِالعَيْنِ عَيْنَ القلبِ للمُختارِ
في غيره في السّرِّ والإجْهارِ
بالأمرِ واسجُدْ سَجْدَةَ الإقرارِ

عَلِمُ الحَقِيقَةِ فِي الخَلِيقَةِ ساري
والكُلُّ حَرْفٌ أَنْتَ نُقْطَةُ خَطِّهِ
وعَلَيْكَ تَنْعَطُفُ الحُرُوفُ فَإِنْ تَسِرْ
واحذِرْ تَسِيرَ بها إِلَيْها فَهِيَ عَمْدُ
والكُلُّ قَدْ أَوْضَحْتَهُ لَكَ فأنقلبْ
هَذَا مقامُكَ قُمْ بِهِ إِنْ شِئْتَ يَا
وَلَيْتَنِي قَطَعْتُ الاختيارَ رَأَيْتَ قَدْ
وهنا بِدَايَةِ ما النّهَايَةُ دُونَهُ
وَلَهُ تَعَالَيْهِ بِهِ عَنْهُ فَقُمْ

خاتمة:

[الوافر]

لَيَشْهَدَ بالبواطِنِ والظُّواهرِ
فأُضْبِحَ خَاطِراً فِي كُلِّ خَاطِرِ
ظُهُوراً بَيْنَ مَقْهُورٍ وَقَاهِرِ
فَكُلُّ سَامِعٍ مِنْهُ وَبَاصِرِ
فَكُلُّ كاشِفٍ والكُلُّ سائِرِ
فَكُلُّ مَهْتِدٍ والكُلُّ حائِرِ
فَكُلُّ باطِنٍ، والكُلُّ ظاهِرِ
فَكُلُّ واقِفٍ والكُلُّ سائِرِ
فَكُلُّ غائبٍ والكُلُّ حاضِرِ
فَكُلُّ عاجِزٍ والكُلُّ قاذِرِ
فَكُلُّ أوَّلٍ والكُلُّ آخِرِ

تَعَرَّفَ بالتَّنَكُّرِ فِي المَظَاهِرِ
عَلا وَدَنا، وَجَلَّ بِلا مَحَلِّ
فأَبْدَى واخْتَفَى عَنْ كُلِّ بادِ
وَخاطَبَهُم بِهِمْ وَبِكُلِّ شَيْءٍ
بَدَا بالكُلِّ مُخْتَجِباً بِكَشْفِ
وَحَيَّرَهُمْ بِهِ وَهَدَى إِلَيْهِ
رَأَوْهُ بِمَما رَأَوْنَ بِهِ رَأَوْهُ
[وَسَيَّرَهُمْ بِهِمْ عَنْهُمْ إِلَيْهِ
وَأخْضَرَهُمْ وَغَابُوا عَنْ سِوَاهُ
فَهَذَا حَدُّهُمْ والرَّسْمُ باقٍ
وَإِنْ رَفَعَ الزَّمانُ فِلا حُدُودِ

تم بحمد الله في يوم الإثنين بإذن الله في العشر الأوسط من رجب المرجب
بتوفيق الله في تاريخ كتبت ببكاء لحب الله، على يد الحقير محب الله غفره الله في
بيت الله بجوار المصنّف قبلة المحققين شيخ محيي الملة والدين، ولي الله،
رضي الله عنا وعن كلّ عبد لله بحرمة محمد وآله عليه وعليهم صلاة الله وسلام الله.